# القوة الناعمة



اسامة عبد الرحمن

# القوة النـاعمـة

أسامة عبد الرحمن

# مقدمة

منذ زمن غير بعيد بدأ السياسيون يتداولون مصطلحين جديدين هما القوة الناعمة والقوة الصلبة وزاد استخدامهما بعد الأحداث السياسية والتغيرات في المنطقة العربية، ، وبعد احتلال أفغانستان والعراق والقوة الناعمة أو الليّنة، مصطلح سياسي حديث العهد،عرفه الفلاسفة والسياسيون القدماء بتعابير متعددة منها مثلاً التأثير والإقناع والثقافة والنموذج ويرى ميشيل فوكو، أن القوة الناعمة تتضمن إجباراً وإلزاماً غير مباشرين، تعتمد في ظهورها على القوة الخشنة أو الصلبة وتقوم بأعمال تعجز القوة الصلبة عن القيام بها والقوة الناعمة ليست دعاية سياسية، بل هي سجال عقلي يهدف إلى التأثير على الرأي العام في داخل الدولة وخارجها.

وتعني القوة الناعمة من وجهة نظر جوزيف ناي، القدرة علي الحصول على ما نريد من خلال الجذب بدلاً من القسر أو الدفع وهي أحد مصادر التأثير وهي الإغراء والجذب والقوة الصلبة، تعني القوة المشتركة السياسية والاقتصادية والعسكرية ، أي القوة في صورتها الخشنة التي تعني الحرب، التي تستخدم فيها الجيوش وتعني هذه القوة الدخول في مزالق خطرة، ونتائجها تكون في منتهى الخطورة على الدولة ذاتها،كما حدث في الحرب العالمية الثانية،بين اليابان وألمانيا النازية وبيَّنت الدراسات للباحثين الاستراتيجيين والمفكرين،أن القوة الناعمة مصطلح يستخدم في نطاق نظريات العلاقات الدولية ويشير إلى توظيف ما أمكن من الطاقة السياسية، بهدف السيطرة على سلوك واهتمامات القوى السياسية الأخرى المستهدفة بوسائل ثقافية وأيديولوجية ولكن ما مغزى القوة الناعمة، وماذا تشمل من أعمال مخططة ومنظمة؟

إن الغاية من القوة الناعمة تدمير الطاقة السياسية للدول المستهدفة، بهدف الهيمنة والسيطرة على القدرات والمقومات السياسية لدى الآخر المستهدف،أي الغزو الثقافي والأيديولوجي، وتحويل البلد إلى بلد مسيطر عليه، دون أن تظهر هوية الفاعل الحقيقي وهذا الفاعل الحقيقي أصبح معروفاً ومتداولاً في الساحة السياسية الدولية، وهو الولايات المتحدة الأمريكية.

**أسامة عبد الرحمن**

# الباب الأول
# تعاريف ومفاهيم

## تعريف القوة الناعمة:

هى مصطلح صاغه في تسعينيات القرن الماضي جوزيف ناي على أنها: القدرة على الحصول على ما يُراد عن طريق الجاذبية، بدلاً من الإرغام أو دفع المال فهى تستخدم نوع مختلف من العمل ليس القسر ولا المال لتوليد التعاون، وهي الانجذاب إلى القيم المشتركة، والعدالة، ووجود الإسهام في تحقيق تلك القيم والقدرة على التأثير في سلوك الآخرين للحصول على النتائج والأهداف بدون الاضطرار إلى الاستعمال المفرط للوسائل العسكرية والصلبة، وهذا ما حدث مع الاتحاد السوفييتي حيث تم تقويضه من الداخل، لأن القوة لا تصلح إلا في السياق الذي تعمل فيه، فالدبابة لا تصلح للمستنقعات،والصاروخ لا يصلح لجذب الآخرين نحونا وهى مفهوم مركب، فالنعومة في الحقيقة أصعب في تعريفها من الصلابة، وعلاقتها بالتاريخ وبالذاكرة وبالأبعاد النفسية والثقافة أعظم أثرًا من فكرة السيطرة والهيمنة والتحكم البسيطة الصريحة التى قامت عليها فلسفة الدولة القومية بعد صلح وستفاليا في أوروبا في القرن السابع عشر ونمو مفهوم القوة الناعمة إقرار بأن العقلانية النفعية التي لا تعرف إلا حسابات القوة المادية لا تكفي وحدها لإدارة علاقات السلطة والحكم الداخلي أو الجوار السلمي أو الصراع الخارجي وهي في الغالب تعمل في إطار التبادل والتوافق مع أدوات القوة الصلبة الاقتصادية والسياسية والعسكرية، وإلا كانت النعومة مرادفة للضعف والعجز، فلا تكون بذلك خيارا بل تكون اضطرارا

وهو ما يفقدها في الغالب قوتها ، فتندرج تحت بند العلاقات العامة أكثر منها العلاقات السياسية بمعناها المركب،وتنأى عن العلاقات الدولية بالمفهوم العلمي الدقيق أما عن التعريف الأمريكي فقد عرّفها مايكل آيزنشتات باحث متخصص في الدراسات الأمنية بأنها استخدام الأقوال والأفعال والصور الإنفعالية كجزء من حملة تواصل إستراتيجي طويلة المدى[١] لتشكيل الحالة النفسية لبلد معادٍ لأمريكا وأن نسبة الأقوال والتصريحات الإعلامية يجب أن تشكل٢٠% من حملة التواصل الناعمة، ويتشكل الباقي من برامج وأفعال وتحركات ملموسة على الأرض في حين جنح جوزيف ناي نحو التعريف الدبلوماسي تاركاً الجانب التطبيقي للأجهزة والوكالات ومراكز الأبحاث وتنشأ القوة الناعمة من الجاذبية الثقافية لبلد ما، والمثل السياسية التي يحملها، والسياسات التي ينتهجها في الواقع،وعندما تبدو السياسات الأمبريالية مشروعة فى نظر الآخرين يتسع نطاق القوة الناعمة وعندما نجعل الآخرين يعجبون بالمُثل التي نؤمن بها، ونجعلهم يريدون ما نريد فإننا لن نضطر إلى الإنفاق على عوامل الإرغام العسكري والإغراء الاقتصادي ومن أهم المثل الأمريكية التي لها قدرة على تحريك وجذب الآخرين نحونا الديمقراطية وحقوق الإنسان وإتاحة الفرص للأفراد والقوة تنقسم إلى ثلاثة أشكال وأنواع هى القوة الاقتصادية والقوة الصلبة العسكرية والقوة الناعمة وعلى هذا الأساس فالقوة الصلبة لا تنفصل عن القوة الناعمة والقوة الاقتصادية، فهذه القوى الثلاث تشكل أبعاد وزوايا القوة والتفوق والهيمنة والسيطرة في السياسة الدولية.

**مفاهيم القوة:**

ورد في المعجم الوسيط أن القوة ضد الضعف وهي الطاقة، وتمكن الإنسان من أداء الأعمال الشاقة، والمؤثر الذي يغير حالة السكون ومبعث النشاط والحركة والنمو وجمعها قُوىَ وهي مصطلحٌ جديدٌ في الاستعمال العالمي

وعلى الرغم من مشابهتها في المضمون لمصطلحات أخرى كانت تستخدم للتعبير عنها بأشكال مختلفة كحرب المعنويات، وغسل العقول، والغزو الثقافي ،والحرب السياسية فإنَّ الحرب الناعمة هي التي تستخدم القوة الناعمة وفي رأي كارل فريدريك أفضل تعريف للقوة :هي القدرة على إنشاء علاقة تبعية؛ فعند القول إن لإنسان ما قوة سياسية تفوق قوى الآخرين، فهذا يعني أن الآخرين يتبعون نظام أفضلياته، القوة ليست مجرد التسلط، ولكنها تتضمن أيضاً القدرة على الاستمالة والنفوذ لدى الآخرين ويرى سبيكمان أن القوة تعني البقاء على قيد الحياة، والقدرة على فرض الإرادة على الآخرين، والمقدرة على إملاء هذه الإرادة على أولئك الذين لا قوة لهم،وإمكانية إجبار الآخرين ذوي القوة الأقل على تقديم تنازلات وعرفها ميكيافيللي وهوبز بأنها الوسيلة والغاية النهائية التي تعمل الدولة للوصول إليها في علاقاتها الخارجية وعرفها ستوسنجر بأنها قدرة الشعب على استعمال موارده الماديةوغير المادية بطريقة تؤثر في سلوك الشعوب الأخرى تجاهها.

وتعني القوة الناعمة اصطلاحاً أن يكون للدولة قوة روحية ومعنوية من خلال ما تجسده من أفكار ومبادئ وأخلاق ودعم في مجالات حقوق الإنسان والبنية التحتية والثقافة والفن، مما يدفع الآخرين إلى احترام هذا الأسلوب والإعجاب به ثم اتباع مصادره ،وغالباً مايطلق هذا المصطلح على وسائل الإعلام الموجهة أو مايسمى بالإعلام الموجة لخدمة فكر ما،وتعتبر القوة الناعمة من أفضل الأسلحة السياسية العسكرية إذ تستطيع السيطرة على الآخرين وأن تجعلهم يتضامنون معك دون أن تفقد قدراتك العسكرية.

**خصائص مفهوم القوة:**

القوة مفهوم يتمتع بعدد من الخصائص أبرزها:

- القوة شيء نسبي لأن قوة الدولة تقاس بمقارنتها بالدول الأخرى.

- القوة مفهوم حركي ديناميكي غير ثابت فترتيب الدولة من حيث القوة بين الدول مرهون بوقت قياس هذه القوة والمجال المستخدمة فيه .

--تتدرج ممارسة القوة بين التأثير بالطرق السلمية وبين أسلوب الإجبار.

**ويمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من القوة:**

القوة الناعمة : وهي ذلك النوع من القوة التي تركز على الوسائل الدبلوماسية والسلمية في تحقيق أهدافها، وهناك بعض الكتاب يسميها بالقوة التعويضية.

القوة المشروطة: وتتضمن الوعد مقابل تغيير المواقف والاستجابة للمتطلبات.

القوة القسرية : وهي التي تمارس على الآخر، وتحقق إذعانه بالقهر والإرغام والتهديد وهي الأكثر وضوحاً في القوة المعاصرة، وتفسر إذعان الشعوب لنظام اقتصادي أو سياسي.

**كيف نفهم القوة الناعمة؟**

طرح مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية التابع للجيش اللبناني عنواناً مهماً وهو الستاتيكو المرتقب في الشرق الأوسط في ضوء المتغيرات والتسويات المحتملة: شرعية أنظمة الحكم وركائز النظام الإقليمي الجديد.

خصوصاً بعد الربيع العربي في بعض البلدان العربية، ومن المهم ملاحظة أوضاعها، وأوضاع بلاد أخرى في المنطقة نفسها وهذا دور محمود للجيش الذي يفتح نوافذه ونوافذ للآخرين للإطلال المتبادل ومناقشة وليس معالجة عدد من القضايا الأكثر أهمية في المنطقة لتكوين وعي متقارب فيها والدول العربية في دولة مجلس التعاون، تقع في مكان الأهمية في الوطن العربي ولقد أوضح متخصصون إلى أهمية أن تستخدم دول الخليج العربية ما لديها من قوة مالية لتركن إليها، كقوّة ناعمة يمكن من خلالها أن تؤدي دوراً أكثر تأثيراً على المستوى العربي والعالمي غير أن القوة الناعمة كما عرّفها جوزيف ناي،لا تأتي بمعزل عن القوة الصلبة أو الخشنة ، إذ ما هي إلا الوجه الآخر للقوة الصلبة، التي يظهرها المتمكن والواثق من قدراتها على الردع والتهديد والترهيب والقوة الناعمة هي تلك الابتسامة التي يواجهك بها خصمك القوي وهو يمسك بيده الهراوة من وراء ظهره، يخفيها ولكنك تعلم بوجودها، وبقدرته على استخدامها وهذا يعني أن القوة الناعمة وحدها بما فيها من اقتصاد وتكنولوجيا، ومخترعات، وإعلام، وبرامج، وثقافة، وترويج الخ تعني نوعاً من الهدر إن لم تكن مشفوعة بقوة عسكرية تبعد شبح الاستخفاف بنعومة القوة، وتجعل الندّية عنواناً لأية محاورات على مستوى عال.

## تاريخ القوة الناعمة:

بدأ السياسيون يتداولون مصطلحين جديدين هما القوة الناعمة والقوة الصلبة منذ زمن غير بعيد وزاد استخدامهما بعد الأحداث السياسية والتغيرات في المنطقة العربية ، وبعد احتلال أفغانستان والعراق والقوة الناعمة أو الليّنة،مصطلح سياسي حديث العهد،عرفه الفلاسفة والسياسيون القدماء بتعبيرات متعددة منها مثلاً التأثير والإقناع والثقافة والنموذج ويرى ميشيل فوكو .

ولعل أفضل من عبر عن أماني الولايات المتحدة وضرورة تميز قوتها هو روبرت جيتس وزير الدفاع الأمريكي ففي مؤتمر حول قضايا الدفاع قال جيتس: إن رسالتي تتعلق بكيفية مواجهة أمريكا للتحديات الدولية القادمة في العقود المقبلة وعلى أمريكا أن تبتكر مظاهر أخرى لقوتها القومية بهدف مواجهة التحديات الخارجية وأقول لكم إنني أتيت إلى هنا لأعزز فكرة استخدام القوة الناعمة لكي تصبح قوة فاعلة رديفة للقوة الصلبة ومن الناحية النظرية، يعتبر جوزيف ناي المنظر الأساس لمفهوم القوة الناعمة ويطرح ناي في مؤلفاته إستراتيجيات بارزة من أجل إنجاح سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في السياسة الدولية وناي درس بدقة تكلفة حروب أمريكا الباهظة في أفغانستان والعراق، ووجد أن وزن أمريكا الدولي لم يعد كما كان سابقاً، وأن شعبية بلده قد تدنت بشكل حاد في البلدان الإسلامية وانطلق من فكرة أن الناس قد عرفوا القوة الصلبة المباشرة عسكرياً والجبروت العسكري والاقتصادي للولايات المتحدة وأدركوا ، أن استخدام القوة المباشرة والتهديدات الصريحة من شأنه أن لا يحقق النتائج المرجوة في حين أن استخدام القوة الناعمة، سيجذب الآخرين ويرفع مستوى الإعجاب بالسياسة الأمريكية كاللعب بقواعد الخصم، وخلق حالة من التشكيك في الثوابت والمعتقدات التي يتبناها .

**التسمية:**

أما عن لماذا سميت القوة الناعمة؟فلعدة أسباب كثيرة منها وليس كلها:

لأنها تغير قرارات الدول بدون حرب ، ولأنها تدفع للاستسلام للقوة الناعمة سلمياً ،ولأنها تدفع فى الخفاء ،وتضغط برفق وخالية من الأسلحة وخالية من أسلحة الدمار الشامل ومكونة من أدوات حياتية وتوجه المشاعر والخواطر والمصير والاهتمامات والإصلاح من بعيد

وتدير الفساد والتعليم والاعلام والدين والأخلاق والأفكار والاعتقادات والمبادئ والأهداف والخطط وتوجه العالم سلمياً وتحرك بدون قسوة وبدون ادراك وملاحظة وبطرق شيطانية وبشراهة وبمداهنة وطول بال وبدهاء وخبث وتحرك المظاهرات وتحرك العداوات سلمياً وحسبما قال جوزيف ناى فى كتابه فإن القوة الناعمة سلاح مؤثر يحقق الأهداف عن طريق الجاذبية والإقناع بدل الإرغام أو دفع الأموال.

ان بعض الدول الصغيرة أصبحت ذات تأثير كبير ومنها قطر التي تعتبر قناة الجزيرة مصدر قوتها الناعمة، حيث عرضت القناة خلال الحرب الأمريكية ضد العراق صوراً لضحايا مدنيين استفزت مشاعر الناس وأصبح الكثير منهم متعاطفاً مع القاعدة التي ارتفعت شعبيتها في بعض الدول مثل أندونيسيا والأدرن ومصدر قوة أمريكا ليس الجيش فقط وإنما مجموعة من العوامل الداعمة لهذه القوة فعلى سبيل المثال تجتذب الولايات المتحدة أكبر نسبة للمهاجرين، والطلبة الدارسون منهم سيحملون الكثير من القيم والمبادئ الأمريكية، ويمكن أن يكونوا سفراء للثقافة الأمريكية ويحتلون في دولهم مراكز القرار، كما تحتل الولايات المتحدة المرتبة الأولى في الفوز بجوائز نوبل في الفيزياء والكيمياء والاقتصاد، ومبيعاتها من المؤلفات الموسيقية تشكل الضعف مقارنة مع اليابان التي تحتل المرتبة الثانية، وتعتبر أمريكا أكبر مصدر للأفلام والبرامج التلفزيونية في العالم، رغم أن بوليوود الهندية تنتج أفلاما أكثر منها في كل عام وحسم الصراعات بالقوة العسكرية وحدها أصبح أمرا من الماضي خاصة والانفتاح وقوة وسائل الاتصال والبرمجيات قد تشكل عائقا.

**وسائل قياس القوة الناعمة:**

ويمكن قياس حجم ومقدار القوة الناعمة وتأثيرها لدولة معينة أو جهة ما من خلال استطلاعات الرأي التي تجريها مراكز الدراسات الموضوعية المنتشرة غالباً في الدول المتقدمة، لهذا نجد أن هذه الاستطلاعات مُتابعة بشكل حثيث، وينفق عليها الكثير لأهميتها حتى في رسم السياسات الدولية.

**<u>أركان الحرب الناعمة :</u>** الخداع وتحين الفرص والحملات المنظّمة: إن تنفيذ وظائف الحرب الناعمة ذات الطبيعة الحساسة ووضعها موضع التطبيق يتطلب موارد وطاقات وجهودا بشرية كبيرة، وتخطيطاً وتحليلاً سياسياً لتوجيه الأحداث، ومراكز أبحاث وأجهزة توفر المعلومات والمعطيات، وإمكانات تكنولوجية واتصالات وإعلام ضخم، ومهارات وخبرات وصبراً إستراتيجيا وغرفة عمليات تتولى التنسيق لأجل تضافر مجموعة من العناصر والأركان منها ما يلي:

- مواد ورسائل وأفكار وشعارات سياسية وإعلامية وثقافية ودبلوماسية.

- بناء علاقات وتوفير وسطاء يقومون بوظيفة تسويق وترويج الأفكار والأخبار والتحليلات والتوجيهات السياسية والثقافية والإعلامية.

- تجهيز وتخصيص منافذ وبوابات وقنوات إعلامية وتواصلية وسفارات.

- بناء علاقات مع كوادر إعلامية ومنظمات وشبكات انترنت ونخب وقوى ومؤسسات عامة وقوى مجتمع مدني وشخصيات ذات تأثير عام.

- غرفة عمليات موحدة تنسق الأنشطة والاتصالات وتوزع الأدوار والشعارات وفقا لتخطيط سياسي عالي المستوى .

- ظروف مناسبة وفرصة ضمن سياق ملائم فالقوة الناعمة تعتمد على المعادلات الآتية من يتواصل مع من وتحت أي ظرف(١) وما هي الرواية الفائزة فى نظر الجمهور والرأي العام، لأن المنتصر في الحرب اليوم هو من تفوز روايته للأحداث(٢) وهذا ما نراه اليوم بقوة في أيام الثورات العربية، حيث يندر أن يأتي يوم لا نسمع فيه كلاماً عن الشرعية ونزع الشرعية عن هذا النظام وذاك الرئيس ، والرواية الرسمية الفلانية ورواية المعارضة المقابلة، وهذا جانب من جوانب الحرب الناعمة وقضية الظروف التي تحدث عنها جوزيف ناي هي جوهر الحرب الناعمة ، لأن الإعلام والثقافة والدبلوماسية وهي أهم أدوات القوة الناعمة تحتاج كي تتحول إلى عملية مؤثرة في البيئة السياسية للخصم إلى سياق ومناسبة خاصة وظرف خاص.

كما إن نوعية الطرف الذي يتولى عمليات الحرب الناعمة مهم جداً، فإذا كان طرفاً مباشراً أمريكياً فحساسية الجمهور تجاهه أكبر، وبناء عليه فتمرير الرسائل بطريقة غير مباشرة أهم من الظهور المباشر الذي أصبحت تتحسس منه النخب والجماهير(٣) .

لهذا فالحرب الناعمة ركزت كثيراً على ضرورة العمل عبر الوكلاء فهذا أهم من مباشرة التأثير العلني، وهذا جزء من الطبيعة المخادعة والماكرة للحرب الناعمة لأن أفضل الناطقين باسم الأفكار والأهداف الأمريكية هم غير الأمريكيين أي الوكلاء المحليون وهناك مثال ممتاز على ذلك هو ما يحدث بين لوس انجلس وطهران حيث يذيع المهاجرون الإيرانيون برنامجاً تلفزيونياً برعاية خاصة موجها إلى الرأي العام الإيراني (٤) وتحتاج الحرب الناعمة إلى عملية تنظيم معقدة،لإدارة وتركيز وتنظيم الحملات ولأجل اختيار التوقيت وتنسيق الجهود وفق الظروف الملائمة

وهذا يحتاج إلى قيادة وغرفة عمليات موحدة تتولى منع تضارب السياسات والتنسيق بين مختلف الأنشطة والأذرع التي تتولى تنفيذ هذه العمليات، حيث أن هناك عشرات الجهات تتولى الحرب الناعمة على إيران وحدها، وقد أحصى منها وزير الاستخبارات الإيراني ٨٠ مؤسسة وقناة[١] .

كما أن الحرب الناعمة تعتمد على رفع شعارات ومطالب الناس واستغلالها، فلا يمكن للحرب الناعمة أن تنجح إذا ما رفعت شعارات وتبنت سياسات معادية الظاهر لمصالح من تستخدم القوة الناعمة ضده القوة الناعمة تقوم على رفع شعارات وقضايا مرغوبة ومحبوبة والبحث عن قيم مشتركة مع الطرف المستهدف مثل الديمقراطية / حقوق الإنسان / السلام / الحريات / فرص الازدهار / الاستقرار / الخ وهذا ما أكده جوزيف ناي بقوله لا يمكن لأي حملة تواصل استراتيجي مهما كبرت وتوسعت ولا لأي قوة ناعمة أن تؤثر وهي تروج شعارات ومطالب غير مرغوب فيها شعبيا في ساحة الخصم[٢].

هذه هي أهم العناصر والأركان لنجاح عمليات الحرب الناعمة كما حددها كل من جوزيف ناي ومايكل آيزنشتات، فتأدية الوظائف التي ذكرناها سابقاً يحتاج إلى حملات قد تستغرق أعواماً فأساليب الاتصال الاستراتيجي غير المباشر بواسطة الوسائل الإعلامية والالكترونية والدبلوماسية والخفية للتأثير في جدول الأعمال السياسي لبلد آخر تحتاج إلى تطوير مجموعة من المواضيع والشعارات على طريقة الحملات الإعلانية والانتخابية والسياسية في الغرب، ويستلزم ذلك تخطيطاً وأحداثاً رمزية ومد اتصالات وبناء علاقات على مدى سنوات كي نتمكن من إبراز هذه الشعارات والمواضيع المركزية والدفع بالسياسة المطلوبة من قبل أمريكا قدما إلى الإمام[١] .

**القوة الذكية: المزج بين القوة الناعمة والقوة الصلبة:**

إن تحقيق الأهداف، لا يمكن دائماً بالقوة الناعمة، لذلك تعمد قوى الاستكبار إلى المزاوجة بين القوة الناعمة و الصلبة، فمن أجل كسب السلام، يتعين على الولايات المتحدة أن تظهر براعة كبيرة في ممارسة القوة الناعمة كما أظهرت براعتها في ممارسة القوة الصلبة، لكسب الحرب ضد الإرهاب الذي تزعمه.

وهذا المزج يشكل ما يسمى القوة الذكية والمزج لا يعطي حاصلاً حسابياً بسيطاً، لأن هناك علاقة بين القوتين، خاصة وأن القوة الصلبة لها جانب جذاب أو ناعم، لأن الناس تميل إلى القوي وإن كانت تشفق على الضعيف كما أن القوة الصلبة قد تُستخدم لإحداث نتائج محببة وجذابة ففي حرب العراق كانت هناك مجموعة أخرى من الدوافع لها علاقة بالقوة الناعمة، فقد اعتقد المحافظون الجدد أن القوة الأمريكية يمكن استخدامها في تصدير الديمقراطية إلى العراق وفي تحويل سياسة الشرق الأوسط.

لكن الأمريكان ما زالوا منذ زمن الحرب الباردة يزاوجون بين القوتين بجرعات متباينة، ففيما كانوا يعدون ترسانة نووية هائلة ضد المعسكر الاشتراكي، كانوا يبثون الموسيقى الأمريكية والأخبار للشباب خلف الستار الحديدي، بواسطة إذاعة أوروبا الحرة.

واليوم يمارس الأمريكيون أسلوب المزاوجة تجاه إيران وسائر دول المقاومة فالحوادث الحادثة في الشرق الأوسط تمثل في الوقت نفسه حرباً ناعمة إلى جانب الحرب الصلبة بين المقاومة التي تقودها إيران، من جهة، ونظم الغطرسة (الغرب) التي تقودها الولايات المتحدة، من جهة أخرى وإن كانت جبهة المقاومة انتصرت في بعض البلدان، وهي تربك المشاريع الغربية في بلدان أخرى.

كما تخاض حرب ناعمة، إلى جانب مظاهر الحرب الصلبة بين روسيا وأمريكا حول دول أوروبا الجنوبية الشرقية ومنطقة بحر قزوين، حيث تسعى أمريكا إلى ضم الدول المذكورة: ألبانيا، كرواتيا، مقدونيا، جورجيا، أوكرانيا إلى مؤسسات أوروبا الأطلسية، وكسر تحكّم روسيا بطرق الترانزيت الخاصة بالطاقة من بحر قزوين إلى الأسواق الأوروبية، والى نشر الديمقراطية في أوساط الشعوب المعنية بينما تتصدى روسيا لكل هذه المشاريع.

# الباب الثانى
# أدوات ووسائل القوة الناعمة

## مصادر القوة الناعمة:

منذ استخدم مصطلح القوة الناعمة لأول مرة كتعبير عن النفوذ الذي تمارسه الآداب والفنون، وأحياناً الدبلوماسية الرشيقة، أصبح متداولاً عبر الإعلام وفي مقالات وتعليقات منها ما يضخمه ويبالغ فيه، ومنها ما يقلل من شأنه، وفي الحالتين ثمة إقحام لهذا المصطلح في سياقات بعيدة عن دلالاته الدقيقة والعميقة، فما من قوة ناعمة تعيش في الهواء الطلق أو خارج نطاق الدولة، لأن كل ما ينتج من إبداع يحتاج إلى رعاية ومتابعة وتنسيق، وبالتالي إلى دراية في فن صعب هو تصدير هذه الفنون، لأن أساليب تسويقها ليست مستعارة من عالم التجارة والصناعة بالمعنى التقليدي، وهناك دول تعدّ الأقوى في العالم بالمقياس المادي والمال والسلاح والهيمنة أو القدرة على التمدد خارج حدودها، لكنها لا تملك قوة ناعمة موازية، لأنها لا تعبأ بهذا النمط من القوة، وأحياناً لا تعترف به لأنه غير مدرج في قوائم الأساطيل والثكنات والمخزون الاستراتيجي من الأسلحة .

ورغم أن أول من استخدم هذا المصطلح كان أمريكياً إلا أن أمثلته عن القوى الناعمة لم تكن من داخل بلاده، وإذا اعتبرنا اللغة واحدة من أهم أدوات القوة الناعمة فإن اللغة التي تستخدمها الولايات المتحدة هي لغة محتلها البريطاني، وجماليات هذه اللغة نابعة من تاريخ الأدب الإنجليزي والفنون التي نشأت في العهد الإمبراطوري، لهذا يرى أحد أهم الباحثين في مجال القوى الناعمة

وهو باورا أن معظم الكتاب والفنانين الأمريكيين ذوو أصول فكرية إنجليزية، ويضرب أمثلة في مقدمتها عائلة اليوت التي ينتسب إليها واحد من أهم شعراء القرن العشرين هو توماس إليوت   وما يغيب عنا أحياناً هو أن القوة الصلبة أو الخشنة كمقابل للقوة الناعمة قد تكون من الكثافة وشدة الحضور بحيث تحجب أية قوة ناعمة  فالاستعمار الفرنسي مثلاً كان يحجب فلاسفة ومفكرين مهدوا الطريق للثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر، وبريطانيا ونستون تشرتشل أو انطوني ايدن حجبت بريطانيا برنارد شو وبرتراند رسل وإلى حد ما شكسبير وفي روسيا كان للقوة الناعمة المتمثلة في شعراء وفنانين وموسيقيين وروائيين ما يكفي لعبور القارات كلها، لكن ما حدث في عهد ستالين والرقابة الصارمة أدى إلى انتحار شعراء وفرار علماء، منهم ماياكوفسكي ويسنين، وفي المجال العلمي زاخاروف عالم الفيزياء الشهير .

ركز الباحث الاستراتيجي الأمريكي جون كولينز على الإعلام والثقافة في تعريفه وتحديده لموارد الحرب الناعمة بقوله الحرب الناعمة عبارة عن استخدام الإعلام والتخطيط للتأثير على ثقافة العدو وفكره بما يخدم حماية الأمن القومي الأمريكي وتحقيق أهدافه وكسر إرادة العدو.

وحين حدد جوزيف ناي الموارد والمصادر التي تعزز القوة الناعمة الأمريكية على المستوى النظري أغفل الموارد والمصادر التي يتم تصميمها لضرب الموارد الناعمة للخصم لأنها تبقى على الدوام سرية وجارية التنفيذ من قبل وكالات وأجهزة الإدارة الأمريكية، أو قد تظهر بعد إنجاز هذه العمليات، أو قد يقوم بتسريبها بعض الكتّاب والصحفيين سواء عن قصد واستهداف مخابراتي وسياسي أو لدواعٍ صحفية بحتة.

وقد حصر جوزيف ناي موارد القوة الناعمة الأمريكية في ثلاثة محاور:

١ـ تعزيز القيم والمؤسسات الأمريكية وإضعاف موارد منافسيها وأعدائها.

٢ـ توسيع مساحة وجاذبية الرموز الثقافية والتجارية والإعلامية والعلمية الأمريكية وتقليص نفوذ منافسيها وأعدائها.

٣ـ بسط وتحسين وتلميع جاذبية أمريكا وصورتها وتثبيت شرعية سياساتها الخارجية وصدقية تعاملاتها وسلوكياتها الدولية وضرب سياسات أعدائها كما حدد ناي مصادر وأدوات هذه القوة الناعمة بأنها[١]:

١ـ مصانع هوليود وكل الإنتاج الإعلامي والسينمائي الأمريكي

٢ـ الجامعات والمؤسسات التعليمية الأمريكية التي تعمل على جذب الطلاب والباحثين الأجانب الوافدين للدراسة، فهؤلاء سيشكلون جيوشا يحملون معهم آلاف النوايا الطيبة والودائع الحسنة عندما يعودون إلى بلدانهم وأوطانهم ويتقلدون المراكز والمواقع وسيصبحون سفراء لخدمة المشروع الأمريكي.

٣ـ المهاجرون ورجال الأعمال الأجانب المرتبطين بقطاع الأعمال الأمريكي.

٤ـ شبكات الإنترنت والمواقع الأمريكية المنتشرة في الفضاء الإلكتروني.

٥ـ برامج التبادل الثقافي الدولي والمؤتمرات الدولية التي ترعاها وتشارك في تنظيمها أمريكا.

٦ـ الشركات الاقتصادية العابرة للقارات .

٧ـ الرموز والعلامات التجارية الاستهلاكية مثل كوكاكولا وماكدونالدز ألخ٠

٨ـ وكالات التنمية والمساعدات الدولية الأمريكية أو الدولية التابعة أمريكا.

وعلى الجملة ترتكز القوة الناعمة على كل المؤثرات والرموز البصرية والإعلامية والثقافية والأكاديمية والبحثية والتجارية والعلاقات العامة والدبلوماسية، وكل مورد أو مفردة أو أداة لا تدخل ضمن القدرات والإمكانات والأدوات العسكرية المصنفة ضمن القوة الصلبة وكل مورد للقوة ومصدر لها لدى الخصم يصبح هدفاً في إطار الحرب الناعمة، ويجب على هذا الأساس اعتبار الطلاب ورجال الأعمال ورجال الإعلام والكتاب والشباب والطلاب ورواد الإنترنت وعلماء الدين وكافة نخب وفئات المجتمع والرأي العام أهدافاً للحرب الناعمة.

**موارد أخرى للقوة الناعمة :**

**المؤسسات غير الهدفة للربح :**

القوة الناعمة الآخذة في اكتساب أهمية أكثر في عصر المعلومات هي في جزء منها ناتج عرضي اجتماعي واقتصادي أكثر منها نتيجة للعمل الحكومي الرسمي وحده فالمؤسسات غير الهدفة للربح وذات القوة الناعمة الخاصة بها يمكنها أن تعقد وتعرقل الجهود الحكومية ومن هذه المؤسسات منظمة حقوق الإنسان، ومنظمة العفو الدولية، ومنظمة الصليب الأحمر ويزيد أو ينقص مقدار القوة الناعمة لهذه المنظمات بمقدار الموضوعية والوضوح التي تتميز بهما ومن هنا تنبع أهمية مد جسور مع مثل هذه المنظمات لما لها من تأثير تحذر منه حتى الدول الكبرى.

## المقاطعة الشعبية كقوة ناعمة :

كذلك من مصادر القوة الناعمة لدى الشعوب المقاطعة الشعبية، لأنها تضرب العصب الاقتصادي للدول الصناعية التي تعتبر المال شريان حياتها،وغالباً ما تسعى سياساتها لتنمية اقتصادها والسيطرة على الموارد حتى لو تطلب الأمر استخدام القوة الصلبة كما حدث في العراق ولهذا نجد أن جوزيف ناي يذكر المقاطعة فيقول حدثت حالات مقاطعة للمنتجات الأمريكية، وهبطت حصة أمريكا من البضائع المصدرة إلى الشرق الأوسط من ١٨% إلى ١٣% من أواخر تسعينيات القرن العشرين إلى أواخر ٢٠٠١، وكان سبب ذلك هو الاستجابة لإدراكهم فقدان أمريكا للشرعية في سياستها الخارجية

## المظاهرات والحشود :

تعد المظاهرات والمسيرات السلمية من وسائل القوة الناعمة المؤثرة والهامة، ولعل الثورات العربية تعتبر أفضل بيان لما يمكن أن تحدثه ليس على المستوى المحلي بل والعالمي ولا ننسى ذكر التحركات الشعبية العالمية التي رافقت الحرب على غزة وكيف كان لها أثر بالغ فى رفع معنويات الشعب الفلسطيني، وتشويه صورة الكيان الصهيوني الذي دفع أكثر من تريليون دولار لتحسينها طوال العقود السابقة.

أما عن الطريقة التي تؤثر بها الحشود على القرارات في الدول المتقدمة فيقول جوزيف ناي أن الاحتجاجات لا تمثل الأسرة الدولية، ولكنها كثيراً ما تؤثر فعلاً على مواقف كتاب الافتتاحيات، والبرلمانيين، وغيرهم من ذوي النفوذ المؤثر في بلدان مهمة تتلخص آراؤها في تلك العبارات الغامضة .

## القوة الناعمة والثقافة:

إذا كانت ثقافة بلد ما وعقيدته الآيدولوجية جذابة، فإن الآخرين يتبعونه باستعداد أكبر فالكثير من القوة الأمريكية الناعمة أنتجتها هوليود، وهارفرد، وبرمجيات المايكروسوفت، ومشاهير الرياضة ومن مصادر القوة الناعمة لأي بلد الفنون، والتقدم التكنولوجي، والعلامات التجارية الرائدة، والجامعات العريقة، ودور العبادة، ومقدار ما تحصل عليه الدول من جوائز نوبل، والمجهودات العلمية والأبحاث، والموسيقى، والسينما، وحجم استضافات مواقع النت، بل والأطعمة الشعبية الشهيرة تعد مصدرا من مصادر القوة الناعمة. ويذكر جوزيف ناي مثالاً على القوة السينما والتلفزيون الناعمة فيقول: جدار برلين كان قد تم اختراقه بالتلفزيون والأفلام والسينما قبل زمن طويل من سقوطه عام ١٩٨٩ ذلك أن المطارق والجرافات ما كانت لِتُنتج لولا انتقال الصور المبثوثة من ثقافة الغرب الشعبية على مدى سنوات طوال فاخترقت الجدار قبل أن يسقط.

## البعثات الأكاديمية كقوة ناعمة :

تعتبر البعثات الأكاديمية التي تستقبلها الدول الغربية من أكبر مصادر القوة الناعمة كما يقول جوزيف ناي، فكثيراً ما يكون المبعوثون المتأثرون بالقيم الأمريكية حصان طروادة للأمريكان في دول العالم المختلفة، يقول وزير الخارجية السابق كولن باول: لا أستطيع أن أفكر في رصيد لبلدنا أثمن من صداقة قادة عالم المستقبل الذين تلقوا تعليمهم هنا .

ان الطلبة الدوليين يعودون إلى أوطانهم في العادة بتقدير أكبر للقيم والمؤسسات الأمريكية، وكما هو وارد في تقرير لمجموعة تعليمية دولية فإن: ملايين الناس الذين درسوا في الولايات المتحدة على مدى سنوات يشكلون خزاناً رائعا للنويا الحسنة تجاه بلدنا.

**دور السياسات الخارجية:**

إن السياسات الحكومية لبلد ما تعزز قوته الناعمة أو تبددها ذلك أن السياسات المحلية والخارجية التي تبدو منافقة، أو متغطرسة أو غير مبالية برأي الآخرين، أو قائمة على معالجة ضيقة الأفق للمصالح الوطنية قد تقوض القوة الناعمة لهذا خسرت الولايات المتحدة الأمريكية الكثير من التأييد العالمي وفقدت جزء لايستهان به من قوتها الناعمة بعد حربها على العراق كما أن قوتها الناعمة في الدول العربية لاتقارن بالدول الأخرى بسبب سياساتها المزدوجة من القضية الفلسطينية، والدعم المطلق للكيان الصهيوني كما أن الدول التي تزعم أنها تحارب الاستبداد، وتطلق التصريحات المناوئة للإستبداد السياسي تكسب نوعا من القوة الناعمة، وهذا ينطبق على تلك التي تدعم الحركات المقاومة والتحرر الوطني .

كما أن إنشاء مكاتب الدعاية، لا سيما عندما يستطيع المرسلون إلهام أحلام الآخرين ورغباتهم بفضل إتقانهم للصور العالمية، عن طريق الأفلام والتلفزيون، فهذا من الأشياء الأساسية.

ولا يمكن استبعاد نشر الأخبار الكاذبة ودفع الآخرين إلى نشرها، كما كان يفعل مكتب التأثير الاستراتيجي التابع للبنتاجون، الذي كان يقدم مواد إخبارية تشمل أخباراً مزوّرة إلى منظمات إعلامية أجنبية في محاولة للتأثير.

كما تلعب البعثات الدراسية في الاتجاهين بين المتلقي والمرسل، وكذلك تدريب الضباط والعلاقات طويلة الأمد مع شخصيات وهو أسلوب استخدمته أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية، حيث اشترك سبعمائة ألف شخص في المبادلات الثقافية والأكاديمية الأمريكية، وهي مبادلات ساعدت على تثقيف قادة عالميين .

كما أن تبادل معلومات المخابرات مصدر مهم من مصادر القوة الناعمة كما ان تقاسم المعلومات السرية قد يكون له تأثير مباشر وقوي على السياسة، فالمعلومات يمكنها في بعض الأحيان أن تغير سياسة حكومة ما وفإن التمويل، عندما يتخذ طابعاً سرياً، يمكنه أن يتلاعب بالمُثل وبالمدافعين عنها، كما فعلت المخابرات الأمريكية في المرحلة الأولى بعد الحرب العالمية الثانية وإذا خلقت الوسائل المختلفة أشخاصاً يحملونها ويروجون للأهداف المبتغاة، فسيكون التأثير أمضى، لأن أكثر الناطقين باسم أمريكا فاعلية وتأثيراً ليسوا هم الأمريكيين، بل وكلاؤهم المحليين من أهل البلاد الأصليين، الذين يفهمون فضائل أمريكا وعيوبها.

إلا أن ما يعيق القوة الناعمة هو اكتشاف كذب ما تطرحه من مثل أو قيم، وهذا ما تعاني منه أمريكا في توجهها إلى شرائح واسعة جداً في العالم العربي والإسلامي فقد روى أ. كروكر، الذي عمل سفيراً للولايات المتحدة في عدة بلدان إسلامية، أنه:بينما كنا نتحدث عن حقوق الإنسان والتنمية الاقتصادية والديمقراطية وحكم القانون، لم تكن سياساتنا ولا توزيعنا للموارد يتماشيان مع خطبنا الرنانة، فلم نقم بتحدي الحكومات في المنطقة من أجل التغيير، ولا قدمنا حوافز لهذا الغرض بل على العكس على أن النتائج المتوخاة من استخدام القوة الناعمة يجب ألا تكون نتائج عاجلة ، بل ربما يستحسن أن تعطي ثمارها على المدى البعيد.

**القوة الناعمة والإعلام :**

من قواعد الحرب الناعمة أن تستخدم وسائل الإعلام بهدف التأثير على قناعات ومبادئ الخصم عبر وسائط الاتصال المختلفة، وذلك ليس من أجل إحداث نشر ثقافة بديلة عن الثقافة المحلية فحسب، بل من أجل إحداث قلب في معايير التفكير واتجاهات الرأي العام في البلد المستهدف.

وفي استراتيجيات الحرب الناعمة، يُعمل بما يسمّى بحرب المواقع الإلكترونية لإثارة السجالات، ومحاولات الجذب والتأثير، والقرصنة ومهاجمة مواقع الآخر المستهدف "بالفايروسات" المتنوعة. وأمور كهذه، تمكن ملاحظتها في مضامين موضوعات الشبكة، التي تظهر ما ينظّر حول الحرب الناعمة في دائرة الصراع الدولي - الإقليمي، حيث تتبدى أنماط حضور مختلفة، تبحث في مخاطر هذه الحرب وأشكالها في منطقة الشرق الأوسط، بين أطراف سياسية تمثل اتجاهات عدة، تتمثل بحضور قوى إسلامية مستقلة، حضور إيراني، وحضور إسرائيلي، يقابله غياب حضور غالب الحكومات العربية عن مسرح التصدي لهذا النوع من الحروب.

على صعيد الإعلام، يروج الغرب الأمريكي دوماً لحرية التعبير عن الرأي وحقوق النشر، وحرية نقل المعلومات والإفادة منها، باعتبارها حقوقاً إنسانيةلا يمكن المساس بها وتحت عناوين كهذه، تلام وتعنف الأنظمة الشمولية والدكتاتورية على قمع الصحافة الحرة، وتوجه الانتقادات عندما يتعلق الأمر ببلدان غير صديقة، أو وفية للولايات المتحدة والغرب عموماً. أما الجانب المغفل الذي لا يتم الحديث عنه، فيقع في إستراتيجيات الإعلام في الحرب الناعمة، وفي منهجية السيطرة والتحكم بعقول الشعوب، عبر تحويل أساليب التفكير والذهنيات نحو أمور تافهة أحياناً لا تصب بمعظمها في محيط تناول قضايا حيوية، فتبعد العقول عن ملامسة مسائل تغير البنية، وتحولها إلى عقول مستهلكة غير منتجة، الأمر الذي يضع الأفكار والمعلومات في دائرة استهلاكية، ويرجح التعاطي مع الشعوب بمنطق إغراقي شبيه بمنطق الإغراق السلعي، الذي يوقع مستهلك المعلومات في هستيريا الاختيار.

وبصدد وظائف الإعلام في التحكم والتأثير، نلفت إلى قائمة أعدّها المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي اختزل فيها الطرق التي تستعملها وسائل الإعلام العالمية للسيطرة على الشعوب، والتي حددها بعشر إستراتيجيات أساسية وهي:

١- إستراتيجية الإلهاء، وهدفها الأساس يتمثل في تحويل انتباه الرأي العام عن المشكلات الهامة، من خلال بث جملة من الإلهاءات والمعلومات التافهة التي تضع المتلقي في خانة التشتت.

٢- إستراتيجية ابتكار المشكلة، وإحداث رد الفعل، ومن ثم تقديم الحل، أي أن يثير الإعلام مشكلة تحدث رد فعل من قبل الشعب، فيطالب بحلها، في وقت يفترض المطالبة بحل مشاكل أكثر أهمية وملامسة لظروف الحياة اليومية.

٣- إستراتيجية التدرج، ويعمل بهذه الإستراتيجية من أجل تقبل إجراء من الصعب تقبله بمعنى إقناع الشعب بضرورة حصول التغيرات الاجتماعية والاقتصادية بنحو تدرّجي تصاعدي.

٤- إستراتيجية التأجيل كما يسميها تشومسكي وهي طريقة يتم الالتجاء إليها من أجل إكساب الأمور المكروهة حالة التقبل، كتقبل إجراء ما في الحاضر يفترض تطبيقه في المستقبل، وترسيخ فكرة أن ما يقدمه الشعب في الحاضر، سيجعله في موقع تفادي التضحية المطلوبة في المستقبل.

٥- وتتجلى في مخاطبة الناس وكأنهم مجموعة من أطفال صغار، وبواسطة شخصيات وخطب لا تستدعي لدى المتلقي الحس النقدي السليم.

٦- وتنطلق من استثارة العاطفة بدل تفعيل التحليل المنطقي أي محاولة تحريك مشاعر وعواطف الناس من خلال إثارة الرغبات والمخاوف والنزعات السلوكية، بشتى الوسائل.

٧- وتكمن في إبقاء الشعوب في حالة من الجهل والحماقة، وإبعادها عن التكنولوجيات المتقدمة ونوعية التعليم الجيد وتتقاطع هذه الإستراتيجية مع إستراتيجية الإلهاء.

٨- تشجيع الشعب على استحسان الرداءة، كأن يجد الفرد أنه من الرائع أن يكون غبيا.

٩- استبدال حالة التمرد بحالة من الشعور بالذنب أي جعل الفرد يظن أنه المسؤول الأوحد عن أخطائه وتعاسته، وأن مشكلات حياته إنما تعود إلى سوء اندماجه ونقص ذكائه وقدراته، عوضاً عن قيامه بحراك سياسي يستهدف بنية النظام الاقتصادي القائم.

١٠- إستراتيجية سيطرة الإعلام من خلال تقدم العلوم البيولوجية والنفسية ففى برأي تشومسكي يلعب التطور العلمي دوراً هاماً في عمليات التأثير نتيجة دراسة طباع الناس وميولهم وقد نتج ذلك التأثير فى رأيه عن فجوة المعرفة بين عامة الناس، وبين الذين يمتلكون أدوات السيطرة، مما يجعل تأثير القوى الحاكمة أقوى من تأثير الأفراد على أنفسهم.

**الدولة العميقة كقوة الناعمة :**

الدولة العميقة مصطلح حديث في صيغته لا في دلالته يبدو انه ظهر كمصطلح في السبعينات في تركيا في عهد الرئيسيين -سليمان ديميريل - وجاويد -وكان يعني عندهمتحالف كل القوى من عسكر وقضاء وإدارة حتى النقابات–لضمان جملة من المصالح لأصحاب السلطة في الدولة والوقوف ضد التنمية السياسية والمعارضة والاصلاح

وشاع المصطلح وأصبح يعبر عن بيروقراطية الدولة وضمان مصالح الطبقة المحيطة بالحاكم بغطاء الدولة والغريب أنها أحياناً تدعي التقدمية فقد تمنح تأشيرات لأحزاب الديكور ورخص لبعض الجمعيات التي تدعي الحقوقية والتحالف أحيانا مع اتحاد العمال كما حدث في تونس في عهد المخلوع وفي الواقع كان كل شيء يخضع لقبضة من حديد.

الدولة العميقة اذن هي هيمنة المسيرين للدولة وضمان مصالحهم المادية والعنوية عن طريق الفساد الإداري والمالي بكل الطرق الخبيثة وتطويع كل المواطنين اما بالاغراء أو بالقوة.

**الفن والقوة الناعمة للدولة:**

في عصر تغير فيه مفهوم القوة في العلوم السياسية، ولم تعد تقاس فيه قوة الدولة بمقدار ما تمتلكه من ترسانة عسكرية فحسب، وفي عصر لم تستطع الدول الكبرى أن تحقق ما تريد عبر استخدام القوة الصلبة، أو الخشنة وحدها، بعد أن تكبدت مليارات الدولارات، كما لم تعد القوة العسكرية وحدها قادرة على حسم المعارك، أصبح مصطلح القوة الناعمة للدولة يحظى باهتمام كبير من قبل السياسيين والخبراء في العلوم السياسية، من خلال الوصول إليه والتأثير فيه بقوة المنطق، وليس بمنطق القوة وحده، وإن كانت تملك ترسانة من الأسلحة.

والفن من أهم أدوات القوة الناعمة للدولة وتأثيرها في محيطها الإقليمي والدولي ألم تكن الدراما المصرية، سواء السينمائية أو التلفزيونية، هي العامل المهم والحاسم في نشر الثقافة المصرية في البلاد العربية؟ وجعلت صناعة السينما من القاهرة هوليوود الشرق، وقبلة لكل الذين يريدون أن يعرفهم العالم العربي من المحيط إلى الخليج لقد خلد متحف اللوفر، وقوس النصر، وبرج إيفل في فرنسا ثقافة شعب امتدت أجيال متعاقبة؟

وما زال تأثير فرنسا الثقافي يسبق أي قوة عسكرية لها، وهل يمكن أن يتحدث أحد عن إيطاليا من دون أن يذكر ليوناردو دا فينشي؟ فالقيم التي تنشئ المجتمعات الحية، وتضمن بقاء نهضتها، ليست المادية فحسب، فالقيم الغير مكون أساس فى حضارات الشعوب، ومنها القيم الجمالية، التي تعد الفنون أحد أوعيتها فتنمية الحاسة الفنية يساعد الفرد على تذوق الفن والاستمتاع به، وتجعله ذا حس مرهف قادر على رؤية الجمال، وهو ما ينمي لديه ملكات إبداع لم يكن لها أن تخرج لولا توافر بيئة إبداعية من حوله،والشعوب التي تحقق تقدماً اقتصادياً بعيداً عن الميدان الثقافي والفني واستلهام قيمه، يصبح أبناؤها آلات المصانع.

# الباب الثالث
# الأدوار والاستراتيجيات

## مكونات القوة:

تعددت آراء الكتاب والمفكرين حول عناصر القوة بتعدد المجالات التي تم تناولها، فمنهم من ذهب إلى العناصر المادية، وآخرون تناولوا العناصر المعنوية، ومنهم من جمع بينهما والعناصر المادية يمكن قياسها كمياً في حين أن العناصر المعنوية يتعذر القياس الكمي فيها وطرح أورجانسكى ستة مكونات للقوة السكان والتطور السياسي والتطور الاقتصادي والمعاني الوطنيةوالموارد وجغرافية الدولة في حين طرح راى أن القوة الوطنية للدولة هي محصلة حجمها الجغرافي– النمو السكاني – الموارد الوطنية والصناعية – المنظمات العسكرية وإستراتيجيتها وطموحها٠

في حين ذكر جون أن مكونات قوة الدولة (القوى السياسية وتفردها على المستويين المحلي والدولي ،وخصائص وطبيعة السكان والأخلاق والتعليم) وقد حدد وندزل ثمانية عناصر لقياس قوة الدولة : الموقع الجغرافي - السكان - الموارد الطبيعية-القوى الاقتصادية- القوة العسكرية - الوظائف الحكومية - خصائص المجتمع -صانع القرار ويرى نعيم الظاهر أن قوة الدولة تتمثل في:

١- القوة الحيوية وتشمل: حجم السكان – معدل النمو السكاني – الكثافة السكانية – معدل الخصوبة– العمر المتوقع للحياة.

٢- القوة الاقتصادية وتشمل (الناتج القومي -متوسط نصيب الفرد من الدخل القومي) .

٣-نسبة التضخم( الزيادة في الأسعار - وانخفاض قيمة النقد المحلي).

٤-الميزان التجاري :ويمثل الفرق بين الصادرات والواردات، فكلما زادت الصادرات زادت قوة الدولة.

٥- متوسط نصيب الفرد من الطاقة الكهربائية : فهو يعني وفرة وسائل الراحة للفرد.

٦- القوة العاملة في الصناعة والزراعة :فهو مؤشر على قوة الأمن الغذائي، فإذا زادت القوى العاملة دل ذلك على قوة الدولة.

٧- نسبة الأراضي الزراعية :لأنه يرفع من قدرة الدولة على الاكتفاء الذاتي والتعزيز ويحقق أمنها الغذائي.

القوة الصحية :وأهم متغيراتها (وفيات الأطفال الرضع- نسبة من تتوفر لهم الرعاية الصحية- توفر المياه النقية- نصيب الفرد من السعرات الحرارية- عدد المرضى لكل سرير- عدد المرضى لكل طبيب)

القوة التعليمية : (النسبة المئوية لمن يجيد القراءة والكتابة- مقر التحاق الطلبة بالتعليم الأساسي والعالي- عدد الدوريات الصادرة في الدولة- نسبة الإنفاق على التعليم).

القوة الاجتماعية : (نسبة سكان الحضر إلى المجموع الكلي للسكان - نسبة السكان دون خط الفقر إلى إجمالي عدد السكان- نسبة المواطنين لكل سيارة- عدد أجهزة الهاتف لكل ١٠٠٠ نسمة- عدد المطارات في الدولة- عدد أجهزة الراديو لكل ١٠٠٠ نسمة).

القوة العسكرية :(نسبة القوى البشرية الاحتياطية إلى مجموع السكان - نسبة الإنفاق الحكومي على القوات المسلحة من الدخل القومي- مدى استقرار الجبهة الداخلية- عدد تجارب القتال الفعلية ).

وهناك من يقيس قوة الدولة بواسطة الجمع بين العوامل المادية والمعنوية في حين يعد نموذج مورجينثوه رائد المدرسة الواقعية التي أكدت فهم القوة كما هي عليه، لا كما يجب أن تكون عليه وبذلك اعتبرت التاريخ مادة أساسية لتأكيد صحة تشخيصها بأن هناك جوهراً للسياسات الدولية يتم عن طريق واحد هو القوة وهو الأفضل، حيث جمع العديد منلمتغيرات البناء ومتغير القوة متغير سببي في السياسات، فهو يعتبر القوة القدرة على التأثير في أفكار وتصرفات الآخرين فالقوة لديه تتألف من تسعة عناصر:

جغرافية الدولة :ويصف علاقتها بالقوة بقدرة الدولة على حماية أراضيها من أي نوع من أنواع التهديد.

الموارد الطبيعية :وتتعلق بقدرة الدولة على إنتاج الأغذية والمواد الخام اللازمة للاقتصاد الصناعي والقوة تكمن في قدرة الدولة على الاكتفاء الذاتي.

القدرة الصناعية :وتتعلق بقدرة الدولة الصناعية اعتمادا على الموارد الخام ومصادر الطاقة .

الاستعداد العسكري :ويعتبرها عنصراً مهماً في قوة الدولة وتتمثل في التقنية العسكرية ، القيادة العسكرية، كمية وجودة القوات المسلحة.

السكان : وتتمثل في العدد الإجمالي للسكان والكثافة السكانية والتركيب التعليمي ، التركيب الاجتماعي، اللغوي، القوى العاملة .

والعناصر الخمسة السابقة تمثل العناصر المادية والأربعة التالية تمثل العناصر المعنوية.

الشخصية الوطنية: ووصفها مورجينثوه بأنها تمثل النمط الحضاري للدولة الذي يُظهر نوعية التفكير والانطباعات عن دولة معينة تميزها عن دولة أخرى وأعطى مثالاً لذلك بقوة الروس مقارنة بالأمريكان الذين يتميزون بالمبادرة والإبداع ،وتشدد البريطانيين، والانضباط الشامل لدى الألمان، ويرى رابطاً حضارياً بين القوة الوطنية والشخصية الوطنية ويرى صامويل هنتجتون في كتابه صراع الحضارات أن الحضارات المختلفة لها قيم مختلفة، فالحضارة الغربية رغم عالميتها إلا أنه لا يمكن قبولها من الدول غير الغربية ويرى شوكت سعدون أنها أحد عناصر قوة الدولة وتشكل سمات عامة للشعوب ففي العلاقات الدولية الشخصية الوطنية قد تفشل في تحقيق نتائج على المستوى الدولي، فالحضارة كمصدر من مصادر القوة الناعمة تكون فعالة عندما تكون مصدر جذب لإعجاب الآخرين

الإرادة الوطنية : فالإرادة الوطنية تعتمد علي البنية الموهوبة وعناصرها تتمثل في الترابط الوطني، القيادة، الثقة في الحكومة، الاهتمامات الشعبية بالاستراتيجيات الوطنية، فهي تفوق الإرادة الشخصية بأنه يمكن ملاحظتها في جميع أنشطة الدولة الصناعية، الإنتاجية،الزراعية ويرى مورجينثوه أنها متغيرة بطبيعة الظروف والأحوال ويتساءل عن كيفية قياسها ويرى أنها تتمثل في قدرة واستيعاب الحكومة الوطنية، فالحكومات الأوتوقراطية لا تأخذ في حساباتها اهتمامات المواطنين، ويغيب ذلك في سياساتها العامة فالوحدة الوطنية تعتمد على قيم سياسة موحدة للمواطنين والحكومة فالحكومة التي تأخذ بالاعتبار طريقة تفكير مواطنيها ويهمها رأيهم العام فإنه يزيد من جاذبيتها على المستويين الدولي والمحلي وهذا أحد مكونات القوة الناعمة.

جودة الدبلوماسية: الدبلوماسية من أهم عناصر القوة الوطنية فهي تعد محفزة لعناصر القوة الأخرى ووسيلة لتحقيق الأهداف الوطنية وتحقيق التوازن بين سياسات الدولة وقوتها ومن الصعب تقويم مدى جودة دبلوماسية الدولة مباشرة، ولكن هناك طريقتين غير مباشرتين لتقويم مدى جودة الدبلوماسية ،الأولى تعتمد على عدد الدول الرئيسية التي يمكن للدولة أن تستقطبها والثانية تعتمد على الجدارة الدبلوماسية،والجدارة الدبلوماسية تتكون من:

أ وضع سياسات تتفق مع قوة الدولة

ب تقويم أهداف الآخرين وقوتهم

ج تقويم مدى التوافق بين سياسات الدولة وسياسات الدول الأخرى

د اختيار الطرق الملائمة التوافق ، المعارضة، التهديد بالقوة لتحقيق أهدافها الوطنية.

وعليه لتحقيق دبلوماسية ذات جودة وفعالية لابد للدولة أن تخلص سياساتها من روح العداء للآخرين وتبدي حسن الجوار والتوافق بعيداً عن التهديد والإرغام.

ولعل التساؤل كيف تسهم جودة الدبلوماسية في توليد القوة الناعمة للدولة في سياساتها الخارجية ؟ عامة يمكن للدولة تحقيق ذلك من خلال الاهتمام بالديمقراطية وحقوق الإنسان في شكل ملائم والقوة الناعمة تكمن في قدرة الدولة على تحقيق التعاون مع الدول الأخرى بعيداً عن الإغراء أو التهديد ولعل أهم وسائل القوة الناعمة هو مشاركة الدولة في القضايا العالمية بفعالية وجدارة، مما يكسبها الريادة والتقدير العالمي.

جودة الأداء الحكومي : فالأداء الحكومي آخر مصادر القوة الوطنية، فقد اقترح ثلاث وسائل لتقويم الأداء الحكومي:

أ التوازن بين الموارد البشرية والمادية التي تشكل القوة الوطنية.

ب التوازن بين مصادر القوة.

ويرى مورجينثوه أن الحكومة ذات الأداء الجيد تتصف بما يلي:

أولاً :تحدد أهدافها بدقة ووسائل تحقيقها والدعم اللازم لنجاح سياساتها.

ثانيا :الدولة تحتاج لمزيج من المصادر حتى تزيد قوتها وأن تستغل إمكانية ما يسمى بالرصاصة السحرية لقوتها الوطنية.

وثالثاً : إن مكونات الدعم الشعبي هي تأييد الشعب للسياسات التي تحتاج إليها الحكومة في تحريك القوة الوطنية لتحقيق الأهداف الخارجية وبناء علي ما سبق فإن قدرة الدولة على تحويل قدراتها وما تمتلكه من مصادر قوة إلى قوة تأثير يزيد من قوتها الناعمة وطرح روبرت دال نموذج سلوكي لتقويم القوة ويعنى بتغيير سلوكيات الأطراف المشمولة في علاقات القوة والقوة توجد عندما تتواجد ثلاثة عوامل هي:

أ أن يكون هناك نزاع على أهداف معينة.

ب أن يوافق أحد الطرفين على مطالب الطرف الآخر ولو على كره منه.

ج تفترض علاقة القوة أن أحد الطرفين قادر على إنزال عقوبات يعتبرها الطرف الآخر كفيلة بإلحاق أضرار بالغة ولابد أن يكون ثمن عدم إذعانه لمطالب الآخر أكبر مما س يفقده نتيجة إذعانه وهذا النموذج يقيس القوة اعتماداً على أنشطة طرف معين ليؤثر في الطرف الآخر للوجهة المقصودة.

وهذا يستدعى من الطرف المؤثر الخطوات التالية:

تحديد أهدافه في محاولة التأثير في الطرف الآخر، وتحديد المذهب أو العقيدة التي ينوي نهجها لإحداث ذلك التأثير، واستخدام أدوات القوة المتاحة لديه ، ومن ثم الاستعداد والتهيؤ.

الشروع في التحليل وتقدير سلوكيات الطرف الآخر تجاه ما اتخذه الطرف المؤثر.

وتحتاج هذه الخطوة إلى تحليل تصرفات الطرف الآخر، وتفاعلها مع ما يتخذه الطرف من تصرفات، ومدى إسهامها في تحقيق النتائج المطلوبة.

**القوة المدنية، والدور الإنساني:**

تراجع المد الفكري، وتعثر التحول الديمقراطي، وتفكيك المجتمع المدني، والهيمنة الحكومية على العمل النقابي، وتعويق الفعل السياسي والاحتجاج، وتقييد حرية الرأي والتعبير، كلها أسباب تفت في عضد القوة المدنية التي هي منبع القوة الناعمة

تعد القوة الاقتصادية والخبرة السياسية والزخم الفكري والأيديولوجي والعلمي والثقافي والإبداعي مقومات مركزية ومصادر للقوة الناعمة، لكن الذي يغيب أحيانا عن التحليل أنها كلها تبني على أسس وموارد مدنية فى الأساس، أي أنها ترتكز على قوة اجتماعية، لذا فالمشكلة التي نواجهها هي أن تراجع المد الفكري،وما سبق ذكره كلها تفت في عضد القوة المدنية التي هي منبع القوة الناعمة؛ لذا فإن خيار القوة الناعمة ليس خياراً بسيطاً لصانع السياسة الخارجية بل هو خيار إستراتيجي لصانع القرار السياسي والسيادي، ولا شك أن نضوب موارد التمدن، وتشرذم القوى الاجتماعية، وملاحقة قوى التغيير وتغييبها تؤثر سلباً على الإمكانات المدنية التي تستقي منها القوة الناعمة قوتها.

ويعجز النظام في المواقف والأزمات المختلفة عن إدارك مكامن قوته الناعمة، ولا يميز بين حسابات الاستقرار ومقومات الاستمرار، التي قد تتعارض إذا لم يتم حسمها بدقة وحساسية بالغة، من هنا فإن الاعتبارات الأمنية، وإحكام القبضة على مفاتيح التغيير، وتعويق التحول المدني والديمقراطي، والتضييق المستمر على حرية التعبير تنذر على المدى المتوسط والبعيد بإهدار القوة الناعمة التي تملكها الدولة.

**القوة الناعمة وإحياء السلام (الصين نموذجاً):**

من كلمات الإمبراطور الإعلامي روبرت موردوخ (أسرع طريق لرفع مبيعات صحيفة ما، هو وضع الصين على صفحاتها الأولى) وفي ظل نموها الاقتصادي السريع، أصبحت الثقافة الصينية محل اهتمام وتسليط الضوء أكثر وأكثر من طرف الدبلوماسية العامة، وازداد انتشار نفوذها في العالم تدريجياً ووفقاً للإحصاءات، وقعت الصين مايقرب من ٨٠٠ خطة تنفيذ لاتفاقية حكومية حول التعاون والتبادل الثقافي مع ١٤٥ بلداً، كما أن الآلاف من المنظمات الثقافية تحافظ على علاقات التعاون الوثيقة، والقيام بأنشطة ثقافية كثيرة ويجري حالياً تنفيذ مجموعة من المشاريع التجارية الثقافية،كالأسواق وزيادة مشاريع تجارية وصناعية ثقافية عاماً بعد عام،وتوسيع قنوات الصادرات الثقافية الصينية تدريجياً.

يعتبر السلام هو الهدف الرئيسي للجهود التي يبذلها رسل الثقافة الصينية وبصوت عال يوصلون دور الثقافة الصينية في صنع السلام في العالم والثقافة تسير لمسافات طويلة دون حدوث ضجيج وتلعب الثقافة الصينية دوراً هاماً في الاتصالات بين البلدان والحكومات والأمم المختلفة،كما لها دور في تعزيز رسالة الصداقة والتفاهم ، وتقليل الشكوك،لكسب التأييد والتقدم المشترك.

ومع ذلك ،نرى بوضوح ان بعض تلك الأصوات المهتمة بالصين ليست جميعها ثناء وتوقعات بل العديد منهم يعاني من فجوة الاختلاف الثقافي،وسوء الفهم بسبب حواجز الاتصال،والانحياز بسبب إيديولوجية ومسار التنمية المختلف وفي ظل النمط العام للثقافات في العالم،والعقبات،والقراءة الخاطئة،والتحيز،فإن هناك اختلاف في الخطاب الصيني الغربي،ولا تزال القيم الغربية غالبة على الرأي العام الدولي كما أن التبادل الثقافي الصيني الأجنبي،لا يزال يعاني من العجز التجاري في المنتجات الثقافية ،وتأثير الثقافة الغربية لا يزال كبيراً ويمكن أن نرى بوضوح أن ذلك لا يتناسب مع القوة الوطنية الشاملة المتنامية للصين،ولا يتناسب مع مكانتها الدولية باعتبارها دولة كبيرة مسؤولة.

إن الثقافة تقولب روح الشعب ،وتصنع روح الدولة وباعتبار الثقافة القوة الناعمة، فهي ليست فقط للمثقفين،وحتى يمكنها لعب دور أكبر من القوة الصلبة التي تشمل القدرات الاقتصادية والتكنولوجية والعسكرية عليها أن تكون أساس المودة والمنطق وتصبح مثل جنود بدون قتال،حيث تسمى الثقافة أيضاً قلم واحد بقيمة ألف سلاح ولقد أصبح العالم كله يسعى إلى معرفة المزيد عن الصين ،وأكثر حرصاً على فهم الصين الحقيقية ولتلبية هذه الرغبات، ينبغي أن تكون الثقافة هي المفتاح، والاعتماد على الثقافة للاتصال،وبالجهد المتواصل يحقق النجاح لكن في هذا الصدد، فإن المهمة الصينية شاقة وقوة الاتصال تقرر مدى التأثير، ومدى التأثير يقرر حق الكلام في الوقت الحاضر، فأن قدرة التواصل مرتبطة مع الوسيلة المتقدمة للاتصال، ومن لديه الأفكار القيمة والثقافية ،يمكن تعميمه على نطاق واسع، ومن لديه القدرة على السيطرة لديه حق الكلام.

**استراتيجيات وتكتيكات الحرب الناعمة:**

إن الحرب الناعمة كأي حرب لها إستراتيجياتها وتكتيكاتها وأسلحتها، بمعنى أنها ليست فكرة أو مذهباً أو مخططاً تجريدياً، وقد حاولنا جمعها وتلخيصها من مصادرها الرسمية وهي منقولة بصورة حرفية وشبه حرفية عن وثائق ومستندات أمريكية[١]:

أ ـ نماذج لاستراتيجيات الحرب الناعمة:

١ـ الاستنزاف المتواصل لطاقات الخصم وسلب حيويته وإشعاعه وعموماً ضرب وإضعاف موارده الناعمة [٢]

٢ـ الضغط والتشهير المتواصل على مرتكزات ورموز وملامح وصورة ونفسية وعقل الخصم بدون أي توقف بهدف تحقيق الإرهاق والإرباك وخلخلة الأركان.

هل يكون التصوّف هو القوّة الناعمة لاختراق الإسلام .

٣ـ الدعم العلني لتيار على حساب تيار آخر والتقييم الفئوي لساحة الخصم بهدف خلق بيئة من الاتهامات المتبادلة وإيجاد فرز واستقطاب يسمح بالتلاعب.

٤ـ استغلال نقاط الضعف في بعض القيادات في جبهة الخصم لخلق توترات وعداوات مع الشخصيات المنافسة وتسعير حمى الصراع عبر تسريب الإشاعات والأخبار وتضخيم صورة بعض الشخصيات خاصة المعارضة

٥ـ خلق بيئة سياسية وشعبية وإعلامية متوترة من خلال الجدل والمناقشة في قضايا وموضوعات فكرية وسياسية حساسة تؤدي إلى إحداث تناقضات وحساسيات بين الفصائل المختلفة ففي إيران مثلا يتم التركيز على موضوع ولاية الفقيه ومواصفات وصلاحيات الولي ومصدر شرعيته.

٦- استدراج التيارات الإسلامية إلى الملفات العامة وإبعادها عن هدفها في مواجهة الغرب وإثبات فشل وقصور نظم الحكم والإدارة الإسلامية عن تلبية الاحتياجات والمتطلبات الدولية والسياسية المعاصرة.

٧- ضرب وتشويه صورة علماء الدين والمؤسسات بهدف تقليص دورهم والعمل على إدخال تعديلات على المناهج الدينية وإضعاف الفكر الديني.

٨- تعديل وظيفة المساجد وتحويلها من قواعد دعم للتدين إلى قواعد لبث التسامح والاعتدال من وجهة نظر أمريكا والغرب.

٩- إبراز مخالفة النظم والحركات الإسلامية لمواثيق ومقررات الأمم المتحدة ومنظومات الأمن والسلام الدوليين ومقتضيات حقوق الإنسان وقيم التسامح الديني وتبنيها للعنف والإرهاب كمنهج وإستراتيجية.

١٠- دعم تيار ما يسمى بالإسلام المعتدل وإيجاد شبكة إسلامية مرتبطة بالغرب تعمل وفق الضوابط الأمريكية وترويج إسلام أمريكي وغربي.

١١- تقليص الوجود العسكري وزيادة الوجود المدني والإعلامي والمخابراتي في العالم الإسلامي.

ب - نماذج تكتيكات الحرب الناعمة:

١-تنويع مصادر البث الإعلامي وخلق ونشر قنوات ومؤسسات إعلامية شعبية خاصة على شبكة الإنترنت حيث تقل إمكانيات الرقابة الحكومية، ويسهل استدراج الشباب، وهذا ما اسماه جارد كوهين رئيس قسم التخطيط السياسي في وزارة الخارجية الأمريكية بسياسة الديمقراطية الرقمية حيث أن الشباب والنساء في الشرق الأوسط قد أصبحوا ناضجين لتقبل تأثير السياسات والأفكار الأمريكية من خلال بوابات ومنافذ تكنولوجيا الاتصال والإعلام.

٢ـ زيادة صدق الحملات الإعلامية من خلال البحث عن شخصيات لها نوع من الثقة والقبول الجماهيري خاصة من المعارضين والمنشقين عن النظم والحركات الإسلامية.

٣ـ إنشاء ودعم جمعيات ومؤسسات مدنية وشبابية ونسائية وثقافية تحت شعار قوى المجتمع المدني لإضعاف القوة المعادية وإيجاد بدائل لها على المدى البعيد، وذلك بموجب قانون أمريكي يدعم المنظمات الديمقراطية والشبابية.

٤ـ فتح قنوات الاتصال السياسي والدبلوماسي مع الحركات الإسلامية المركزية بهدف استدراجها وتوريطها وتلطيخ سمعتها ونزع الثقه منها في الشارع العربي والإسلامي عبر زيادة ورسم الشكوك حولها وتسعير الحساسيات مع نظرائها تماماً كما يدور الحديث الآن عن لقاءات بين الإخوان المسلمين وأمريكا لعقد صفقة شاملة لتسليمها الحكم في العالم العربي.

٥ـ تركيز الضوء الإعلامي على الشخصيات ذات الأفكار المتطرفة بهدف بث التفرقة وإشغال المذاهب والفرق الإسلامية ببعضها.

٦ـ استقطاب الشخصيات الليبرالية ذات الأفكار الالتقاطية ودعمها بهدف إضعاف تأثير الحركات الإسلامية المناهضة للقيم والسياسات الغربية.

٧ـ تدريب أفراد وشبكات ومؤسسات للتحرك على شبكة الإنترنت بهدف رفد القنوات الإعلامية العالمية بالمادة المطلوبة للتشهير والتشويه وقد صدر قانون الكونجرس الأمريكي لتقديم الدعم لضحايا الرقابة على شبكات الإنترنت.

٨ـ توسيع الفرص الاقتصادية واستقطاب المهاجرين وتقديم المنح الدراسية لجذب الشباب المسلم نحو المال والأعمال والتخصصات العلمية وصرفه عن الالتحاق بالشبكات ومجموعات الجهاد.

٩ـ زيادة برامج تدريب الضباط المسلمين وتفعيل العلاقات مع قادة الجيوش الإسلامية.

١٠ـ تفعيل شبكة العلاقات مع أبناء الجاليات المسلمة والمغتربين المسلمين المقيمين في الغرب بهدف إشراكهم في برامج لزيادة التأثير في شعوبهم ودولهم

**وسائل الحرب الناعمة وآليات العمل:**

تعتمد الحرب الناعمة كأى حرب صلبة على بعض الأدوات منها:

١ـالإعلام والاتصالات: يقول جوستاف لوبون: من هنا خطورة إدمان وسائل الاعلام والتعرض السلبي لهائل ،فالتكرار والتأكيد يصنعان التصورات والمعتقدات خاصةً إذا ما شحنّا بجرعات عاطفية ومؤثرات بصرية إيحائية فوسائل الإعلام والاتصالات صاحبة الأمر المباشر الذي تستخدمه اليوم الحرب الناعمة في أوسع نطاقها بعناوين مختلفة فايس بوك، تويتر، ووسائل الاتصال المختلفة، والتلفزة، والقنوات الفضائية العالمية، وهكذا، يقول المحلّل الأمريكي مايكل آيزنشتات: يجب إثارة التساؤل الدائم عن عدم استقرار النظام في إيران، وأنه غير صالح للبقاء على المدى الطويل، وزرع الشكوك بين النظام الحاكم وبين المنظمات المرتبطة به في المنطقة، وينبغي بث معلومات تقلِّل من أهمية الانجازات النووية الإيرانية، أي أنَّ وسائل الإعلام والاتصال لها وظيفة التكرار للقصة التي تريد نشرها، وضخ المعلومات الكثيفة من أجل أن تؤثر على بعض الشخصيات وعلى الناس

وأن يصبح ما تنشره هذه الوسائل هو الحقيقة التي يجب تبنيها والتعويل عليها جوزيف ناي يقول: إن مصانع هوليود بغض النظر عن فسادها، وعدم نظافتها فهي أكثر ترويجاً للرموز البصرية للقوة الأمريكية الناعمة من جامعة عريقة كجامعة هارفرد، ذلك أن الإمتاع الشعبي بالأفلام الأمريكية –الجنس والعنف والابتذال- كثيراً ما يحتوي على صور ورسائل لا شعورية عن الفردية وحرية الخيّار للمستهلك وقيم أخرى لها رسائل سياسية مهمة ومؤثرة عندما يتحدثون عن هذه الحقائق بشكل واضح وصريح، فهم لا يُخفون أنَّ ما تنتجه وسائل الإعلام وهوليود والمواقع المختلفة، يستهدف استكمال خطة الحرب الناعمة لتحقيق الإستمالة والجاذبية التي يؤثِّرون من خلالها بعض الإحصاءات الميدانية تكشف أنَّ الجمهور يتعرض لوسائل الإعلام بمعدل ٣-٤ ساعات يومياً، أي ما يوازي ١٠٠٠ ساعة سنوياً، مقابل ٨٠٠ ساعة يقضيها التلامذة والطلاب في المدارس أو الجامعات في مدارسهم أو جامعاتهم كل سنة، ولنا أن نتصور مدى التأثير علماً بأنَّ ما يتلقونه من وسائل الإعلام يتم برغبةٍ وشوقٍ ومحاولة تقليد وتفاعل، ونعلم أن أكثر المسلسلات أو الأفلام التي تعرض هي في الواقع أفلام هادفة ،حتى بعض الأفلام التي تبتغي الربح التجاري المبتذل فإنَّها جميعها تؤدي دورها في الحرب الناعمة فعندما يصوِّرون لنا امرأة متزوجة تخون زوجها، ويبرزون التعاطف معها بسبب ظلمه لها، إلى درجة يشعر معها المشاهد بأنَّ خيانتها مبرَّرة، لأن زوجها أخطأ معها وظَلَمها، فهذا تثقيفٌ على تلقي الخيانة والاعتياد عليها كحالة طبيعية في الحياة وفي العلاقات بين الناس وعندما يروّجون للحرية من خلال الفساد والإنحلال والطريقة المبتذلة في اللبس، والأداء المفضوح في العلاقات بين الجنسين، وبشكل إباحي ومثير للغرائز، فإنما يريدون إثارة الغرائز والأهواء ليخرج الإنسان من ضوابطه وقواعده الثقافية والأخلاقية والدينية وعندها يتحكمون بمشاعر وتوجّهات الإنسان كيفما شاؤوا، فيعطلون استقامته واتجاهاته الإيجابية ليسلك طريق الانحراف والأفكار الضالّة التي يقودونه من خلالها.

ونلاحظ في كثير من الحالات، عندما يتم ضخٌ إعلاميٌ مكثف لحادثة بسيطة وعادية فتصبح حادثة العالم، بينما تجري جرائم وحوادث خطيرة تمر في نشرات الأخبار كخبرٍ عادي لا قيمة له، كأن يُجرح أمريكيٌ في بلدٍ في العالم في مقابل أن يقتل الآلاف بقصفٍ جويٍ ومدفعي بأدوات الاستكبار، فيكون الخبر الأول في العالم هو جرح الأمريكي، ولأيام عدة، مع كل التفاصيل التي تحيط به، بينما يمر الخبر الآخر بشكل عادي وطبيعي ولمرة واحدة فقط، فإذا ما أُثيرَ من بعض الجهات أو وسائل الإعلام، تمت محاصرته سياسياً وإعلامياً فيختفي مجدداً من التداول إذن تُستخدم وسائل الإعلام من أجل ضخ المفاهيم التي تؤدي إلى تغييب التفكير الصحيح، وإثارة الغرائز والمشاعروهي من أساليب ووسائل القوة الناعمة المؤثرة اليوم.

٢-خلق وتلفيق الحقائق:

بث الشعارات والمفاهيم الخاطئة، وتزيينها وتشويه المفاهيم السائدة هم يتحدثون عن الحداثة، ويقصدون بالحداثة ترك الماضي بكل ما فيه باعتبار أنه أصبح مرادفاً للتخلف ويتحدثون عن الأسرة ويطالبون بعدم تقييدها بالضوابط المعروفة في إدارتها، لتكون أسرةً حرَّة في إطار المساكنة والإنفاق المشترك، وعدم وجود مسؤول عن الأسرة، لتتحول الأسرة إلى بيتٍ يأوي رجل ومرأة من دون أي تنظيم للعلاقة بينهما ويتحدثون عن نموذج الغرب في كل شيء، في الطعام والشراب، وطريقة الحياة، وطريقة اللباس, ومواكبة الموضة، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى تغيير بعض الحقائق ويؤسس لشخصية مختلفة ويطالبون بالحرية الجسدية والملذات بلا حدود، وشرب الخمر حتى الثمالة، وتناول المخدرات حتى ضياع العقل، والتصرف في العلاقات المحرمة دون حدود وضوابط بل بتشريعٍ لها وتقنين، كي تكون متاحة للجمهور بشكلٍ عادي وطبيعي هذه الشعارات تؤدي إلى تغيير بنيوي في طريقة التفكير وفي الحقائق التي يحملها الإنسان، وهنا خطورتها .

ومن تلفيق الحقائق ازدواج المعايير التي تنطلق من مصلحة الاستكبار لا من الحق، واليوم إذا قرأتم كل بيانات الأمم المتحدة وأمريكا وأوروبا في أي قضية من القضايا، فإنَّكم لا تجدون: أن الحق الإنساني يقتضي كذا، وإنما التركيز على: أنَّ المصلحة مصلحة المجتمع الدولي، ومصلحة الشعب الأمريكي، مصلحة الدول الكبرى أن تكون كذا، من دون الاهتمام بمخالفة الموقف للحق؟!

هذا تلفيق للحقائق، ومن واجبنا أن نواجه هذا التلفيق، الذي يكون بإبراز الحقائق على صورتها، وتعريف الناس بالإسلام الأصيل، وإبراز دور المقاومة وأدائها وقضايا منطقتنا المحقَّة، وبالتركيز على منطق الحق لا على المصلحة، ولو أدَّى ذلك إلى مخالفة الإنسان لمصلحته آنياً، هذه عناوين يجب أن نركز عليها ونثبتها، وأن لا نقبل الانتقال إلى المعايير الأخرى التي تخالف الحقوق الثابتة والمشروعة.

٣- التبعية الفكرية:

تحاول المنظومة الثقافية الغربية السيطرة علينا، ليأخذ منَّا الاستكبار من خلال هذه التبعية كلَّ شيء فإذا ما أصبحت أفكارُنا أفكارَهم وقناعاتُنا قناعاتهم، عندها يصبحون الأساتذة ونحن التلامذة، ويصبحون القادة ونحن الرعيَّة، فإذا ما احتجنا إلى تفسيرٍ فهم المفسَّرون، وإذا ما احتجنا إلى توضيحٍ فهم الموضِّحون، لذا فالتبعيّة الفكرية من أخطر ما يصيبنا في الحياة وما لم يتحقَّق التحرر الفكري لشعب ما، لن يحقِّق استقلاله في الأبعاد الأخرى وكي يتسنى لنا تحقيق التحرر الفكري والخروج من سجن التبعيَّة للآخر، يجب أن نستيقظ من الغفلة، التي فُرضت على بعض فئات الشعب، لاسيَّما العلماء والمفكرين والمثقفين، وأن نعي هويتنا ومفاخرنا ومآثرنا الوطنية والقومية والثقافية.

وفي مجال التأكيد على أولويَّة التأثير الفكري، يقول روبرت رايلي مدير إذاعة صوت أمريكا إن الطبيعة الحقيقية للصراع اليوم هو صراع المشروعية في عقول وقلوب الناس والرأي العام، وليس صراع القوى العسكرية، إن الحروب تخاض ويتم تحقيق النصر أو الهزيمة فيها في ساحات العقول والقلوب قبل أن تصل إلى ميادين القتال فالعمل على العقل والقلب والفكرة، وهذه هي البداية.

**آلية عمل القوة الناعمة:**

عند تعريف القوة الناعمة من خلال السلوك، فإنها ببساطة القوة الجذابة والقوة الناعمة تعتمد أكثر من القوة الصلبة على وجود مفسرين ومتلقين مستعدين ومؤمنين بمشروعية أهدافها أي ترتبط القوة الناعمة باعتناق الآخرين للقيم التي تدعو لها، وتبني رغباتهم وتحولها إلى رغبة داخلية في تفكير المستهدف، كذلك فإن الشخصية الجذابة تمثل طريقة لترسيخ التفضيلات وعلاوة على ذلك فإن الجاذبية كثيراً ما يكون لها تأثير واسع الانتشار يخلق أثراً عاماً فالقوة الناعمة ترتكز على القدرة على تشكيل تفضيلات الآخرين ويمكن تعريف القيم أنها الهيكل المثالي من المبادئ التي ينظر من خلالها الفرد إلى ما يجب أن يكون سلوكه عليه وسلوك الآخرين.

آليات التغيير هي الوسائل والأدوات التي تستخدمها الوحدات الدولية في تفاعلاتها الديناميكية في النسق الدولي لتحقيق المكاسب والأرباح النية والمستقبلية ولكل بعد دولي آلية معينة يحددها الزمان والمكان بما يلائم الظروف المواتية للوصول إلى الهدف الشامل للاستراتيجيات العليا ومن غير المنطقي القول بأن مثل تلك السياسات تنطبق على جميع الدول فالدول المتقدمة والكبرى هي أقرب ما يكون لاستخدام آليات التغيير لما تملكه من مقومات القوة والقدرة على التأثير.

وبالتالي توظيف المتغيرات المتاحة لاعتبارات مُسَلم بها فالتغيير مطلباً عالمياً مستمر ولعل أبرز وأكثر التقسيمات تمييزاً في الدراسات الأكاديمية لاسيما في العلوم الاجتماعية لآليات التغيير هي:

- آليات التغيير الناعمة اللينة
- آليات التغيير الخشنة الصلبة
- آليات التغيير الذكية (الجمع بين القوتين).

الآلية الناعمة للتغيير تحمل في معانيها الكثير من المتغيرات فمنذ أربعة قرون ، نصح نيكولاى ميكيافيللي الأمراء في إيطاليا بأن يكون المرء مخيفاً أهم من كونه محبوباً، لكن في عالم اليوم كما يقول جوزيف ناي أن يكون المرء مالكاً لهاتين الصفتين معاً ،لأن كسب العقول والقلوب مهما على الدوام، لأنها القوة المؤثرة انطلاقا من الأفراد والمؤسسات صعوداً إلى مستوى الدولة ، والمعروف أن القوة أساس للتغير وتأخذ أبعاد كثيرة ولعل أكثر الأبعاد المنتشرة بين متغير القوة هي الرؤية الضيقة من حيث إصدار الأوامر بالقسر والاجبار والإكراه أو التهديد.

ومن الصعب اليوم الاعتماد على القوة الناعمة أوالقوة الخشنة في التغيير الدولي فكلاهما قوة يمكن من خلالهما سلب إرادة الآخرين والسيطرة على مقدراتهم وقراراتهم وثرواتهم فكرياً وثقافياً وبأقل مجهود وأدنى خسائر مادية وبشرية، لكن الفارق كما يقول مورجانثو أن الأدوات أو الآليات الناعمة أخبث الأدوات المستخدمة في فرض السيطرة الاستعمارية وأكثرها ذكاءاً ، لأنها تستهدف العقول والتسلط عليها وغلسها وتغذيتها بما يتفق مع الغاية المرجوة لهدف تلك الوحدة في التفاعلات الدولية.

## الحرب الناعمة والقوة الناعمة:

منذ الثمانينات،اتخذت الإدارة الأمريكية سياسياً وعسكرياً عنوان الحرب الناعمة بعد الحرب الباردة وبدأت تطبيقها في سياستها الخارجية ويلخص تعريفها أحد منظري الحرب الأمريكان والمدرس في الكليات العسكرية جون مكوللينز بقوله الحرب الناعمة عبارة عن استخدام الإعلام والتخطيط للتأثير على ثقافة العدو وفكره باللجوء إلى تنسيق الجهود بما يخدم حماية الأمن القومي وتحقيق أهدافه بكسر إرادة هذا العدو وقد صدرت في صدد الإستفادة منها العديد من الدراسات و الكتب، أهمها كتاب جوزف ناي سنة ٢٠٠٤ وتعتمد الحرب الناعمة لتحقيق الاستراتيجيات وسائل تكتيكية منها: -في الشرعية عن بعض العناوين- تغيير المفاهيم والمصطلحات وقيمها من الإيجابية إلى السلبية وبالعكس بحسب الحاجة، -الإضاءة على بعض العناوين وربطها بالفضائل والقيم كحقوق الإنسان والمرأة -كسر هيبة المفاهيم والأشخاص المحترمين وتسخيفها لدى أي شعب من خلال المقالات والرسوم الكاريكاتيرية والنكتة والأفلام وما إليها

## الفرق بين الحرب الناعمة والحرب النفسية:

تركِّز الحرب الناعمة بأساليبها على الاستمالة والإغواء والجذب، دون أن تظهر للعيان، ودون أن تترك أي بصمات في حين تركِّز الحرب النفسية والدعاية على إرغام العدو وتدمير إرادته ومعنوياته بصورة شبه مباشرة وعلنية.

إنَّ الوسائط والأدوات المستخدمة اليوم في الحرب الناعمة متوفرة وفي متناول الجميع دون استثناء، ودخلت إلى كل البيوت ٢٤/٢٤ ساعة وعلى مدارها، في حين أنَّ الحرب النفسية توجه بشكل أساسي نحو كتلٍ منظمة ومتراصة ومتماسكة وصلبة

مثل الجيوش والحكومات والمنظمات التي تسيطر وتهيمن بصورة كلية على وعي وميول الرأي العام فالحرب الناعمة تستهدف الجميع، وفي كل الأوقات، وبوسائل متنوعة وبجاذبية أما الحرب النفسية فتتجه لإضعاف الرأس والقدرة والحكام والموجهين وتماسك الجماعة، فلا يبقى للجماعة قائد مؤثر، ويسقط القائد عند جماعته، ولا يصمد الحاكم أمام الضغوط فيفشل في توجيه الرعية التي تتخلى عنه، وهكذا.

هذا الفرق هو الذي يُظهر لنا كم هي قدرة القوة الناعمة على أن تدخل إلى كل تفاصيل حياتنا بدءًا من الأطفال وانتهاءاً بالشيوخ دون تمييزٍ بين الرجال والنساء.

ان الله تعالى عرَّفنا على القوة الناعمة منذ بدء الخليقة مع إبليس، عندما ذكر الحوار الذي جرى بينه وبين إبليس، الذي رفض السجود لآدم عليه السلام، فطرده من الجنة، عندها طلب طلباً واحداً من رب العالمين، ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فاستجاب الله تعالى له بإبقائه حياً إلى نهاية الحياة الدنيا، ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَومِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾،ثم أعلن إبليس اتجاهه للوسوسة والإفساد والإغواء :﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾، إنَّها إرادة الله تعالى، أن يكون إبليس رمزاً للفساد والانحراف، دون أن يملك السيطرة المادية المباشرة على أحد، فهو يعمل بالإغواء والتزيين والتدليس والوسوسة فلا يقوم بعمل عسكري، ولا بعمل مادي مباشر، فكل أعماله تدور حول التدليس والزينة والوسوسة ويتحمل الناس مسؤولية الاختيار بأعمالهم، حيث يكون تأثيره على الذين يستجيبون له، أما المؤمنون فلن يستجيبوا له لتمسكهم بطريق الصلاح وإخلاصهم لله تعالى.

من الذي يتأثر بهذه القوة الناعمة الإبليسية عبر التاريخ وفي الحاضر وفي المستقبل؟ قال تعالى :﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾، فلا بدَّ من وجود قابلية عند المتلقي، كي يتأثر بهذه التوجيهات التي يقوم بها إبليس لعنه الله قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: ولو أن الحقَّ خلُص من لُبس الباطل لانقطعت عنه ألسن المعاندين, ولكن يؤخذ من هذا ضغثٌ ومن هذا ضغثٌ فيمزجان، فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه, وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى.

**الفرق بين الحرب الناعمة والحرب النفسية والدعاية:**

عرفت الحرب النفسية والدعاية بأكثر من ١٠٠ تعريف، اخترنا منها تعريفين يعبران عن هذه التعاريف للإحاطة والشمول، التعريف الأول هو التعريف الضيق ذا الطابع التقني البحت أوردته الموسوعة العسكرية للحرب النفسية بالقول الحرب النفسية هي مجموعة من الأعمال التي تستهدف التأثير على أفراد العدو بما في ذلك القادة السياسيين والأفراد غير المقاتلين بهدف خدمة غرض مستخدمي هذا النوع من الحرب والتعريف الثاني للباحث الدكتور فخري الدباغ وهو الموسع بأنها شن هجوم مبرمج على نفسية وعقل العدو سواء كان فرد أو جماعة بغرض إحداث تفكك ووهن وارتباك فيهما وجعلهما فريسة مخططات وأهداف الجهة صاحبة العلاقة مما يمهد للسيطرة عليها وتوجيهها إلى الوجهة المقصودة ضد مصلحتها الحقيقية أو ضد تطلعاتها وآمالها في التنمية أو الاستقلال أو الحياد أو الرفض.

أما أساليب وتكتيكات الحرب النفسية المعروفة تاريخيا فنورد أمثلة عليها: الدعاية ضد معتقدات الخصم / الإشاعة / بث الرعب / الخداع / افتعال الأزمات / أثارة القلق / إبراز التفوق المادي والتقني والعسكري / التقليل من قوة الخصم والعدو / التهديد والوعيد/ الإغراء والإغواء

والمناورات/الاستفادة من التناقضات والخلافات / الضغوطات الاقتصادية / إثارة مشاعر الأقليات القومية والدينية / الاغتيالات / تسريب معلومات عسكرية وأمنية وسياسية حساسة عن العدو في الصحافة / الإفصاح عن امتلاك نوعية خاصة من الأسلحة الفتاكة / وغيرها من الوسائل طابعها العام عسكري أو شبه عسكري في حين تعتمد الحرب الناعمة على نفس الأهداف مع اختلاف التكتيكات التي أصبحت تكتيكات ناعمة،فبدلاً من تكتيكات التهديد تعتمد الحرب الناعمة على الجذب والإغواء عبر لعب دور المصلح والمنقذ،وتقديم النموذج الثقافي والسياسي وزرع الأمل بأن الخلاص في يد دولة معينة، المانحة لحقوق الإنسان والديمقراطية وحريات التعبير وما شاكل من عناوين مضللة للعقول ومدغدغة للأحلام وملامسة للمشاعر، وبدلاً من استعراض الصواريخ أو بث الرعب عبر الإذاعات والمنشورات للفتك بإرادة العدو يتم إرسال أشرطة فيديو أو أقراص ممغنطة أو صفحات للشباب والأطفال والنساء والرجال كل حسب رغباته وبناء على التعاريف المذكورة، لا تعد الحرب الناعمة منهجاً جديداً في مناهج الحرب النفسية بل هي نتاج تطور كمي ونوعي في وسائل الاتصال ، وإفراز طبيعي وحتمي للجيل الرابع من وسائط تكنولوجيا الاتصال والإعلام كما يرى أغلب خبراء الإعلام والمعلومات، وفي التقييم والتشخيص نستنتج بعد المقارنة والمطابقة بين الحرب النفسية والحرب الناعمة أنهما يسيران على خط في الأهداف،ويتعاكسان في الوسائل والأساليب فيتفقان ويشتركان في الهدف لقصد تطويع إرادة العدو ولكنهما يختلفان ويتعاكسان في الوسائل والأساليب ويختلفان في نوعية الأساليب بسبب درجة انتشار أدوات الإعلام لدى الرأي العام.

## تحول الحرب النفسية إلى ناعمة:

لا تشن الحرب الناعمة للتأثير والدعاية والتلاعب بالرأي العام والإقناع السياسي ولو بدون توفّر أدلة صادقة كما كان يعرفها قسم الحرب النفسية والدعاية في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية CIA أثناء الحرب الباردة(١) فهذه من وظائف الدعاية الكلاسيكية التي انتهت استخدامها ولم تعد تجدي نفعاً في عصر العولمة والمعلومات كما صرح جوزيف ناي، لأن توسع وسائل الإعلام وانتشارها بين أيدي الجميع وظهور لاعبين من غير الدول عدل مفهوم الصدق في الخطاب السياسي للدول، ومنع احتكار الدول للصدق هذا، مما أدى إلى القفز نحو اتجاهات ووظائف جديدة أنتجت الحرب الناعمة بحيث أصبحت وظائفها تقوم على تشكيل التصورات العامة وبناء بيئة سياسية ملائمة لترسيخ قواعد السياسات المطلوب تثبيتها وتمريرها والتسويق لها ونزع الشرعية والمشروعية والصدق عن الخصم وتغيير النظام والقيادة لدى الخصم وقلب الحقائق وتحويل نقاط القوة إلى نقاط ضعف ومن فرص إلى تهديدات.

كل هذه الوظائف لم تكن معهودة بهذا التركيز والتكثيف كما هي اليوم، وهنا تفترق الدعاية والحرب النفسية عن الحرب الناعمة فالحرب الناعمة لا تعد منهجاً جديداً في مناهج الحرب النفسية والدعاية، بل تطور في الوظائف ناجم عن تطور وسائل ووسائط الاتصال والإعلام، بل يمكن اعتبار الحرب الناعمة إفرازاً طبيعياً وحتمياً مرتبطاً بسعة انتشار وتوسع الجيل الرابع من وسائط تكنولوجيا الاتصال والإعلام

الفضائيات / أجهزة الاتصال الخليوية الرقمية / مواقع وصفحات الإنترنت / شبكات التواصل الاجتماعي.

فالحرب النفسية والدعاية تشترك مع الحرب الناعمة في الهدف أما في الأساليب فتركز الحرب الناعمة على الاستمالة والجذب بدون أن تظهر للعيان وبدون أن تترك أي بصمات، في حين ترتكز الحرب النفسية والدعاية على إرغام العدو وتدمير إرادته ومعنوياته بصورة شبه مباشرة وعلنية كما يختلفان في كمية ونوعية الوسائل المستخدمة، حيث تعاظمت وتوسعت الأدوات الإعلامية لدى الرأي العام في الوقت الراهن.

# الباب الرابع
# الامبريالية الأمريكية والقوة الناعمة

## طبيعة الإمبريالية الأمريكية:

وتختلف طبيعة التمدد الإمبريالي الأمريكي عن التمدد الكولنيالي للإمبراطوريات الأوروبية، في القرون الخمسة الماضية، حيث استفاد منظروه وصنّاعه من سلبيات تلك التجربة، التي شكل الحضور المباشر للقوة العسكرية الإمبريالية في المستعمرات عامل استفزاز للسكان، وهو ما دفعهم للمقاومة الشرسة لتلك القوة فاعتمدت الإمبريالية الأمريكية أساليب جديدة تستهدف خلق قوة موالية من سكان البلد المستهدف، ودعمهم بالسلاح ثم التدخل بضربات جوية وصاروخية لترجيح كفتهم، وفي حالات الضرورة القصوى قد تضطر للتدخل العسكري المباشر لمصلحتها وبمجرد تمكينهم من السيطرة على مفاصل الدولة تنسحب منها، مع الاحتفاظ بقواعد عسكرية فيها تدعم الحكومة الموالية، وتكون عيناً للولايات المتحدة على القوى الإقليمية.

وتتنازع نخب التفكير في الولايات المتحدة عقيدتان عسكريتان تدعو الأولى إلى الركون لاستخدام القوة الخشنة العسكرية لإخضاع البلدان التي ترفض دمج أسواقها في السوق الدولي، أو ترفض الدخول في بيت الطاعة الأمريكي، والتي اشتهرت في الأدب السياسي بسياسة الضربة الاستباقية بينما تدعو الثانية إلى استخدام القوة الناعمة لتحقيق ذات الهدف ويتبنى البناك والحزب الجمهوري العقيدة الأولى، بينما يتبنى الديقراطيون العقيدة الثانية، وهي التي نظّر لها جوزيف ناي في كتابه القوة الناعمة وطبق السياسة الأولى الرئيس الأمريكي السابق جورج دبليو بوش، بينما طبق الثانية الرئيس الأمريكي أوباما.

## التمدد الإمبريالي الأمريكي في المنطقة العربية الإسلامية:

حكم كلا من منظري مراكز التفكير وصانعي السياسات والقرارات في الولايات المتحدة الأمريكية، في العقود الأخيرة، عقدتا الشعور بالعظمة والشعور بالتراجع؛ وتتمثل عقدة الشعور بالعظمة في كتابات المحافظين الجدد الذين ينتمون لمجموعة تفكير تسمى البناك ، الذين دعوا إلى أن يكون القرن الواحد والعشرين قرناً أمريكياً، وفي كتابات نيكسون، وبريجنسكي، وكيسنجر، فاكوياما،وايان بريمر، بينما تتمثل عقدة الشعور بالتراجع في كتابات صمويل هنتنجتون، وجون وليامز، ومايكل بارينتي.

والعقدتان تدفعان صانعي السياسات والقرارات في الولايات المتحدة لتسويغ التمدد الامبريالي الأمريكي، فعقدة العظمة تزين لهؤلاء الفرصة السانحة للهيمنة، وقطف ثمار الانتصار في الحرب الباردة، والعمل على إطالة أمد الهيمنة الأمريكية على العالم، وبالتعبير الأمريكي القيادة الأمريكية للعالم وتدفع عقدة التراجع صانعي السياسات والقرارات فى الولايات المتحدة إلى الدعوة لاستثمار القوة المتاحة لها، في الهيمنة على الطاقة والموارد الطبيعية، وطرق المواصلات البرية والبحرية والجوية قبل الوصول إلى سن اليأس.

وإذا ما تركنا القراءة النفسية السيكولوجية الأمريكية، وانتقلنا إلى القراءة الاجتماعية والاقتصادية، نجد أنّ النخبة المسيطرة على المال والثروة في الولايات المتحدة التي يسميها جون بركنز الكواربقراطية بعد أنّ تخلصت من شبح الاشتراكية صارت تسعى حثيثاً من أجل تكريس الهيمنة الاقتصادية الأمريكية على العالم من خلال دمج الأسواق المحلية في السوق الدولي، بالعمل على إلغاء القيود الكمية وغير الكمية على التجارة الخارجية، وعلى حركة رأس المال، ونشر عقيدة السوق وتعميم نموذج الدولة-السوق على العالم

وهو ما صيغ في مبدأ من مبادئ السياسة الخارجية الأمريكية، والمعروف بمبدأ كلينتون ويجيز للولايات المتحدة استخدام القوة في مواجهة سياسات الحماية الاقتصادية ، أو سياسات التحكم في الطاقة والموارد الطبيعية التي قد تنتهجها البلدان المالكة أو المنتجة لها، وهو ما يعني الدمج القسري للأسواق المحلية في السوق الدولي، وإخضاع الاقتصاديات الأضعف للاقتصاديات الأقوى ومحاولات التمدد الإمبريالي للولايات المتحدة ليست جديدة، فعادة ما تنفتح الشهية الأمريكية للتمدد الإمبريالي عقب كل انتصار تحققه في النزاعات الدولية؛ حيث خاضت تجربة التمدد في أمريكا اللاتينية والمنطقة العربية والإسلامية، عقب كسب الحلفاء لما سُمي بالحرب العالمية الأولى، كما خاضت التجربة في أمريكا اللاتينية وشرق أسيا، عقب الحرب العالمية الثانية غير أنّ وجود الاتحاد السوفييتي والمعسكر الاشتراكي حد من شهية الولايات المتحدة للغزو الباهظ ، في ظل توافر شكل من أشكال التوازن الدولي بين العملاقين، والدعم السوفيتي للمقاتلين ضد الإمبريالية الأمريكية. غير أنّ الشهية الأمريكية للغزو والتمدد الإمبريالي انفتحت من جديد عقب كسبها للحرب الباردة، وهو ما دعا الولايات المتحدة للشروع في اتباع سياسات جديدة تراوحت بين الغزو المباشر وقلب أنظمة الحكم، وصناعة حروب أهلية طائفية وقبلية في البلدان المستهدفة بدأت ببلدان أوروبا الشرقية والبلقان ولن تنتهي بالبلدان العربية والإسلامية.

**دوافع التمدد الإمبريالي الأمريكي وأدواته:**

فتح الأسواق أمام السلع والاستثمارات الأمريكية.

السيطرة على طرق المواصلات البرية والبحرية الجوية.

المرابطة على تخوم القوى الناهضة لمراقبتها والحد من دورها الإقليمي والدولي.

تستخدم الامبريالية الامريكية عدة وسائل للوصول إلى تحقيق أهدافها منها قنوات إعلامية موجهة وقنوات تواصل اجتماعي وجهاز مخابرات قوي وجمعيات أهلية وأحزاب ذات تمويل أمريكي أو ممولة من قبل وكلاء أمريكا المحليين مراكز أبحاث وتدريب ذات تمويل أمريكي وكتاب وصحفيون ومثقفون ورجال دين ومؤسسات اقتصادية دولية كمؤسسات بريتون وودز المتمثلة في صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للإنشاء والتعمير

**دور المنظمات الدولية في تبرير التمدد الإمبريالي الأمريكي:**

استخدمت الولايات المتحدة والغرب المنظمات الدولية في السنوات العجاف التي أعقبت انهيار التوازن الدولي، خاصة خلال فترة تولي يلتسن لرئاسة الاتحاد الروسي، استخدمتها في تبرير وإضفاء الشرعية على الأعمال العدوانية للولايات المتحدة والناتو ضد البلدان الأخرى ففي حين كان القانون الدولي يدين التدخل في شؤون الدول الأخرى ويؤكد على مفهوم السيادة الوطنية كسياج يمنع الأمم القوية من غزو الأمم الضعيفة أو التدخل في شؤونها نزعت الولايات المتحدة وحلفاؤها الغربيون إلى تقويض مفهوم السيادة الوطنية من خلال المنظمات الدولية، فمارسوا ضغوطاً مختلفة لفرض صيغة حق التدخل لأسباب إنسانية، بدعوى أنّ مفهوم احترام السيادة الوطنية قد تحول إلى مجرد أداة لحماية الحكام المستبدين الذين يسيئون لشعوبهم من العقاب الدولي غير أنّ هذا الامتياز يمنح القوى الكبرى ذات الطموحات الإمبريالية حق التوسع تحت ذرائع التدخل لحماية المدنيين ومن السهل للمتابع المحايد ملاحظة وجود تناغم بين قوى المعارضة المتواطئة مع الغزاة والقوى الإمبريالية؛وهو ما يدفع قوى المعارضة لخلق الظروف المواتية لمثل هذا التدخل.فما عليها سوى إشعال مواجهة مسلحة مع الحكام، واتهامهم بإبادة شعوبهم،ومن ثم المطالبة بالحماية الدولية، لتبرر للإمبرياليين التمدد داخل بلدانهم.

## أساليب الإمبريالية الأمريكية:

تبدأ الخطة الأمريكية للتمدد الإمبريالي بممارسة شتى أنواع الضغوط السياسية والإعلامية على البلد المستهدف، وتعمل على شيطنة قياداته ومسئوليه في نظر دافع الضرائب الأمريكي والغربي، وفي نظر مواطني الدولة المستهدف ة،والرأي العام العالمي فيُنعت النظام بالدكتاتوري وحكامه بالفاسدين مالياً وإدارياً، وتُروج عنهم وثائق مزورة وأخبار مفبركة تؤكد فسادهم ويتم تكرار نشرها، وكثرة الإشارة إليها، وتعدد الوسائط الإعلامية المتناولة لها على ترسيخها في ذهن المتلقي، إلى درجة التوهم أن هناك إجماع علي صحتها فالغلبة في المعركة الإعلامية المصاحبة للحروب غالباً ما تكون لصاحب الضجة الأعلى أي أن الغلبة للأقوى نباحاً؛ فمن منا لا يشمئز في داخله من هتلر أو ستالين، لمجرد أنّ الإعلام الغربي نجح في شيطنتهما في أذهاننا، رغم أنهما لو أعيد كتابة التاريخ على نحو محايد، لصار الاثنان ملكين أمام حجم الجرائم التي ارتكبتها الديمقراطيات الغربية التي من الأجدر تسميتها بالإمبرياليات الغربية وتهدف هذه الخطة إلى تطويع سياسات البلد المستهدف وفتح حدوده أمام السلع ورأس المال الأمريكي والأجنبي وهي التي تتمثل في حزمة الشروط الأمريكية التي ترتكز على ثالوث التحرير، والخصخصة، وتقليص النفقات الحكومية، والتي صيغت في اتفاق بين صندوق النقد الدولي،والبنك الدولي، ووزارة الخزانة الأمريكية،وعُرف بتوافق واشنطون ، ويدور حول السياسة التي يجب أنْ تتبعها الدول النامية وغيرها لحل متاعبها الاقتصادية، أو من أجل الحصول على القروض والتسهيلات والمعونات من المؤسسات الدولية والأمريكية:

التحرير: تشتمل حزمة التحرير التي تشترطها الولايات المتحدة على البلد المستهدف بالتطويع أو بالتمدد الإمبريالي على الشروط التالية: تحرير الأجور، وتحرير الأسعار، وتحرير سعر الصرف، وتحرير التجارة الخارجية وهلم جراً

وهذه الشروط في ظاهرها الرحمة وفي باطنها العذاب؛ حيث يعني تحرير الأجور تركها تهبط وعدم تحديد حد أدنى لها، وهو ما يؤدي إلى إفقار الذين لا يملكون إلاّ جهدهم من العاملين بالأجر وزيادة عوزهم، وقد يقول قائل أنّ تحرير الأجور لا يعني فقط مرونتها إلى أسفل، بل إلى أعلى أيضاً غير أنّ أرباب العمل أكثر تنظيما وأكثر قدرة على المساومة ، وهو ما يجعل الأجور مرنة إلى أسفل وغير مرنة إلى أعلى والخبرة العملية تؤكد هذا القول؛ ذلك أنّ الأجر الحقيقي لا يكاد يرتفع أبداً، فالذي يرتفع هو الأجر النقدي، ولكنه يرتفع بنسبة أقل من نسبة ارتفاع الأسعار ولا يستطيع إدراكها، وكلما طالب العمال بأجور أعلى، رفع أرباب العمل وأرباب المشروعات الاستثمارية الأسعار، وبنسبة أعلى من الزيادة في الأجر الأمر الذي لا يلغي الزيادة في الأجر النقدي فحسب، بل يقلل من الأجر الحقيقي، والأجر الحقيقي يعني الأجر النقدي مقسوماً على المستوى العام للأسعار.

كما أنّ أسواق العمل محكومة بنموذج احتكار الطلب واحتكار الشراء، وهو ما يمكّن محتكري الطلب على العمالة من تحديد الأجر الذي يريدون، وتدني الأجور يفاقم حالة العوز والفقر لدى الذين لا يملكون إلاّ جهدهم من الفئات الفقيرة والعاملة بالأج.

كما يعني تحرير الأسعار تركها ترتفع، وعدم التدخل لمصلحة الذين لا يملكون إلاّ جهدهم من ذوي الدخل المحدود للحد من ارتفاعها غير أنّ سوق السلع والخدمات محكوم بسوق احتكار البيع، وهو ما يمكّن الباعة من تحديد السعر الذي يريدون ثم إنّ المستثمرين والباعة أكثر تنظيماً، وأكثر قدرة على المساومة من المستهلكين، وهو ما يجعل الأسعار مرنة إلى أعلى وغير مرنة إلى أسفل والخبرة العملية تؤكد هذا القول.

ذلك أنّ الأسعار لا تنخفض تقريباً، وحتى لو انخفضت لفترة وجيزة فإنّها تستعيد ارتفاعها سريعا فيما بعد ويعني تحرير سعر الصرف في الاقتصاديات الأضعف، انخفاض سعر صرف العملة المحلية في مواجهة العملات الأجنبية، وهو ما يعني ارتفاع تكلفة الواردات، والتي ستؤدي إلى ارتفاع تكلفة المعيشة بشكل عام، وارتفاع تكلفة سلة الغذاء، وعلى نحو خاص في البلدان التي تعتمد على استيراد الغذاء، فتزيد من عوز الفقراء

ويعني تحرير التجارة الخارجية؛ إلغاء القيود الكمية وغير الكمية أي الضريبية على الواردات والصادرات، وهو ما سيؤدي في الاقتصاديات الأضعف، إلى انهيار القطاعات المنافسة للواردات، وسيطرة السلع المستوردة على السوق المحلي والخصخصة تتضمن حزمة الشروط الأمريكية والدولية تحرير النشاط الاقتصادي من تدخل الدولة، وهو ما تشكل الخصخصة حجر الزاوية فيه، ويعني بيع مؤسسات القطاع العام للقطاع الخاص، الأمر الذي سيؤدي إلى أحد النتيجتين التاليتين أو الاثنتين معاً : الأولى رفع اسعار المنتجات والخدمات التي كان يقدمها القطاع العام والثانية تسريح عدد لا بأس به من العاملين في القطاع العام، الذي يتصف عادة بانتهاج سياسة تغلب الربح الاجتماعي على الربح الاقتصادي وتفاقم البطالة والفقر والعوز للعاملين بالأجر والعاطلين عن العمل وذوي الدخل المحدود.

تقليص النفقات الحكومية: تتضمن حزمة الشروط الأمريكية والدولية، اشتراط تقليص النفقات الحكومية والنفقات الاجتماعية منها على نحو خاص، وتقليص نطاق اختصاصات الحكومات، بمنح الكثير من تلك الاختصاصات للقطاع الخاص بما في ذلك التعليم والصحة والدفاع والأمن، كما تتضمن رفع الدعم عن المواد الأساسية بذريعة تقليص عجز الميزانية

وهذه الاجراءات التقشفية من شأنها مفاقمة حالة الفقر والعوز للفقراء والمعوزين وهذه الحزمة التي تقدم للبلدان النامية على أنها اصلاحات هيكلية، تؤدي إلى تحفيز الاستثمار المحلي والأجنبي، ورفع معدلات النمو، تهدف في الواقع إلى دق اسفين بين الحكومات المستهدفة بالإسقاط وشعوبها وتستهدف هذه الحزمة الوصول إلى أحدى نتيجتين:

١- دخول البلد المستهدف بيت الطاعة الأمريكي،وضمان تدفق السلع الأمريكية والغربية عليه وتحويل رجال الأعمال المحليين إلى وكلاء للشركات العابرة للقوميات وتكريس سلطة الوكلاء التجاريين فيه

٢- تهيئة الظروف لاضطرابات سياسية، يمكن استغلالها في إحداث تغييرات سياسية لمصلحة التمدد الإمبريالي الأمريكي، حين لا تقبل قيادة البلد المستهدف الدخول إلى بيت الطاعة الأمريكي والغربي، وتكريس سطوة الوكلاء التجاريين للشركات الأمريكية والغربية العابرة للقوميات

وحين يتم الركون للخيار الثاني يبدأ تنفيذ بسياسات الغزو الناعم:

**سياسات الغزو الناعم:**

شرعت الولايات المتحدة في تنفيذ سياسات جديدة للتمدد الإمبريالي في العقد الثاني من الألفية الثالثة،يمكن تسميتها بسياسات الغزو الناعم أو الصيد بالإغواء،وفي البلدان العربية على نحو خاص وبمساندة غربية حيث تم اللجو إلى هذا النوع من الغزو لسببين: الأول تنامي مشاعر العداء لأمريكا عقب غزو أفغانستان والعراق، وظهور دعوات في أمريكا لتحسين صورة أمريكا في العالم، أدت إلى تعيين الرئيس الأمريكي مستشارة لشؤون التزيين كما أدت إلى اختيار النخبة المسيطرة على الجاه والمال في الولايات المتحدة لرئيس أسود ومن أصول أفريقية وإسلامية لنفس الغاية

وظهور دعوات لاستخدام القوة الناعمة دعا إليها جوزيف ناي الذي كتب في مقدمة كتابه يعرف القوة الناعمة: القوة الناعمة سلاح مؤثر يحقق الأهداف عن طريق الجاذبية بدلاً من الإرغام أو دفع الأموال وتبناها الحزب الديمقراطي ونفذتها إدارة اوباما ويكمن السبب الثاني في تفاقم الأزمة الاقتصادية في الولايات المتحدة وأوروبا، وارتفاع تكلفة الغزو التقليدي بالطريقة التي أُتبعت في العراق وأفغانستان فإذا كانت الغاية النهائية للغزو هى الوصول إلى تنصيب حكومة عميلة وتابعة على شاكلة حكومة قرضاي في أفغانستان، فإنّه بواسطة القوة الناعمة يمكن للولايات المتحدة الوصول إلى تحقيق هذا الهدف، دون إراقة نقطة دم واحدة لجندي أمريكي أو غربي، ودون تكبيد الخزانة الأمريكية المفلسة المليارات من الدولارات، خاصة إنّه هناك جنود جاهزون للموت يسمون أنفسهم الجهاديين وتقوم سياسات الغزو الناعم أو الصيد بالإغواء على السيناريو التالي:

١- احتضان المعارضين للنظم السياسية في البلد المستهدف بالغزو، بغض النظر عن انتماءاتهم الايديولوجية؛ يمين يسار ليبراليون علمانيون إسلاميون قاعدة، وتدريب عناصر منهم على أعمال الشغب وتحريك المظاهرات، وعناصر أخرى على أعمال القتال وحرب المدن.

٢-تأسيس قنوات إعلامية قوية لشن حرب باردة على النظام الحاكم في البلد المستهدف بالغزو، وإعداد سيناريوهات إعلامية تواكب عملية الغزو، تظهر النظام السياسي الحاكم في البلد المستهدف بالطاغية.

بمجرد خروج مظاهرة معادية للنظام تبدأ الحملة الإعلامية القوية، تحت عنوان اسقاط الديكتاتور وتستند على الأكاذيب؛ حيث تتسلح تلك القنوات بكل الصور والتسجيلات المتعلقة بقمع المظاهرات في العالم، وبصور قتل المدنيين وتدمير المنازل والمباني في الأماكن المشابهة

حتى تلك التي قام بها أمريكيون، لتجنيد الرأي العام الأمريكي والغربي والعالمي والمحلي ضد النظام السياسي في البلد المستهدف ونجحت تلك الحملات الإعلامية في البلدان العربية نجاحاً باهراً فالذاكرة العربية ضعيفة وسماعية، والعرب لم يغادروا أميتهم بعد، فهم وإن اتقنوا القراءة يدمنون الاستماع، فموقفهم من سلمان رشدي والشريط المسيء للنبيّ ص، على سبيل المثال لا الحصر مبني على السماع فقط، ذلك أنّهم الوحيدون الذين لديهم الاستعداد للموت وللقتل استناداً على السماع ودون تثبت، حيث لديهم، على سبيل المثال، الاستعداد للموت وللقتل دفاعاً عن رسول الله ص، ضد من سمعوا أنّهم اساءوا إليه.

وحين لا تتمكن الميلشيات التي أعدت بعناية لتنفيذ الغزو من تحقيق الهدف الذي رُسم لها، يتم الاستنجاد بالمجتمع الدولي الذي هو البلدان الغازية، حيث أنّ المجتمع الدولي ليس سوى الاسم الحركي لحلف الناتو، الحلف الذي عوضاً عن أن يحل نفسه عقب انفراط عقد حلف وارسو، زاد من عدد أعضائه من أجل استعادة مستعمراته السابقة، بطريقة الغزو الناعم أو الصيد بالإغواء وتحت شعارات: حماية المدنيين وإسقاط الديكتاتور ونشر الديمقراطية وعندها تقوم قوات الناتو بإتمام الحملة أو تقصيرها زمنياً، وبطريقة القصف الجوي والصاروخي الفعالة والأكثر أماناً، وعلى الطريقة التي طبقها الناتو في ليبيا، والطريقة التي حاولت تنفيذها إسرائيل في سوريا تحت ذريعة استهداف أسلحة في طريقها لحزب الله.

عبرت الكاتبة البريطانية دانيا جونستون عن هذه السياسات بالقول شكلت ليبيا منعطفاً، حيث لم يستخدم الناتو مبدأ حق حماية المدنيين من أجل حماية الشعب الليبي من القصف الجوي والذي أفضى إلى قرار مجلس الأمن بخصوص فرض منطقة حظر طيران وإنّما استخدمه لقصف ليبيا لكي يمكن المتمردين من قتل القذافي وتدمير البلد والمنطقة

وكان هذا كفيلاً بإقناع الروس والصينيين، الذين كانت تساورهم الشكوك أصلاً، حول زيف مبدأ حق التدخل لحماية المدنيين ، الذي يُستخدم في الواقع للتمهيد لمشروع السيطرة على العالم كما عبرت الكاتبة عن السيناريو المستخدم ضمن هذه الخطة للسيطرة على العالم في النشرة السياسية الأمريكية على النحو التالي:

تسارع وسائل الإعلام الغربية الرئيسية إلى نقل القصة وفقاً للقالب الجاهز التالي:

١-الحاكم ديكتاتور لذلك فالمتمردون يرغبون في التخلص منه، من أجل التمتع بالنمط الغربي للديمقراطية.

٢- إنّ الشعب ينبغي أن يكون مع المتمردين٠

٣-حين يتحرك الجيش لقمع المتمردين فإنّ وسائل الإعلام تقول بأنّ الديكتاتور يقتل شعبه.

٤-تقع مسئولية حماية المدنيين على المجتمع الدولي.

٥- تقتضي الحماية الدولية للمدنيين تدخل الناتو لدعم المتمردين وتدمير القوات المسلحة والتخلص من الديكتاتور.

والنهاية السعيدة تأتي بصرخة ابتهاج من السيدة كلينتون: لقد قدمنا وشهدنا موت الديكتاتور عند ذلك تغرق البلد في الفوضى، وتتجول العصابات المسلحة بها، ويعذب المساجين، وتقبع النساء في أماكنهن، والمرتبات لا تُدفع، والتعليم والرعاية الاجتماعية تهملان، بينما يتدفق النفط باتجاه الغرب، وسيُشجع ذلك الغرب لتحرير بلد آخر.

**تاريخ التمدد الإمبريالي الأمريكي في المنطقة العربية والإسلامية:**

بدأ التمدد الإمبريالي الأمريكي في المنطقة العربية منذ عام ١٩٣٣، حين حصلت شركة شيفرون على امتياز للتنقيب عن النفط واستخراجه في الجزيرة العربية التي اندمجت مع شركة كاليفورنيا وشركات نفطية أمريكية أخرى لتنبثق عنهم شركة أرامكو الضخمة، وتنامت العلاقات الأمريكية السعودية كما تنامى الانتاج والاحتياطي النفطي للملكة بحيث وصل إلى أرقام قياسية وهو ما دفع الرئيس الأمريكي ترومان إلى التصريح: بأنّ أي تهديد تتعرض له المملكة السعودية سيكون التعامل معه من الأولويات المباشرة للولايات المتحدة ولم يقتصر تزايد الاهتمام الامريكي بالمملكة على كونها تسبح على بركة من النفط، بل لاحتلالها موقعاً متميزاً؛ حيث كتب الأمريكي دين اشتون الذي تقلد منصباً وزارياً فيما بعد يقول: تحتل المملكة السعودية موقعاً حيوياً بين البحر الأحمر والخليج العربي, يسيطر على الطرق البحرية وعلى طرق الملاحة الجوية التي تقود مباشرة إلى الهند والشرق الأقصى وفي عام ١٩٤٥ وقعت الولايات المتحدة والسعودية اتفاقاً، لبناء قاعدة عسكرية في الظهران على الضفة الشرقية للخليج، مارست تلك القاعدة دوراً مهماً إلى جانب القواعد الأمريكية في أفريقيا وسيا خلال معارك الحسم الأخيرة للحرب العالمية الثانية وازدادت أهميتها بعد انتهاء الحرب حيث ظهر الاتحاد السوفييتي كقوة منافسة للهيمنة الأمريكية, فأصبحت القاعدة نقطة انطلاق رئيسية للتدخل العسكري في المنطقة العربية والإسلامية، للحد من انتشار الأفكار القومية والاشتراكية.

ومع منح ليبيا حريتها بعد هزيمة المحور فيما سمي بالحرب العالمية الثانية، حل الحضور العسكري الأمريكي والبريطاني محل الحضور الإيطالي في ليبيا، وتمثل في ثلاث قواعد عسكرية اثنتان للولايات المتحدة وواحدة لبريطانيا، كما منحت امتيازات الكشف والتنقيب واستخراج النفط للشركات الأمريكية والبريطانية

كما حلت القواعد العسكرية الأمريكية وشركاتها النفطية محل الحضور العسكري والاقتصادي البريطاني ، في الإمارات والمشيخات الخليجية بعد تحررها عن الإمبراطورية البريطانية واستخدمت الولايات المتحدة السعودية لتمويل وقيادة الثورات المضادة للثورات القومية والاشتراكية، في مصر وسوريا والعراق واليمن، ولقيادة وتمويل وتسليح تيارات الجهاد وحروب بالوكالة في أفغانستان وفي البوسنة وكوسوفو.

أمّا الهجمة الأمريكية الشرسة على المنطقة فبدأ التخطيط لها عقب انتصار الولايات المتحدة والحلف الأطلسي في الحرب الباردة، حيث رأت أمريكا أنّه ليس من الإنصاف الخروج من هذه الحرب خالية الوفاض ودون غنائم تذكر، فاعتبرت أنّ من حقها السيطرة على المناطق التي كانت تحت نفوذ الإتحاد السوفيتي، كأوروبا الشرقية والبلقان وبعض البلدان الخارجة عن بيت الطاعة الأمريكية في نصف الكرة الجنوبي إضافة إلى منطقة الوطن العربى الغنية بالنفط والغاز، وقلب أوراسيا لأهميتها الاستراتيجية من جهة، ولغناها بالغاز والنفط أيضاً فبدأت بالعدوان على العراق، بمؤازرة سعودية وخليجية وصلت إلى حد استقبال ما سمي بقوات التحالف في الأراضي السعودية والإماراتية والقطرية، وتشكيل قيادة مشتركة بذريعة تحرير الكويت.

غير أنّ البلدان المستهدفة بالتمدد الإمبريالي لم تعطِ أمريكا ذرائع للعدوان عليها، وهو ما دفع القوى المحرضة على التمدد الإمبريالي إلى افتعال حادث برجي التجارة، من أجل تبرير الحملة الأمريكية الشهيرة للحرب على الإرهاب ونتج عنه غزو أفغانستان والعراق من قبل الولايات المتحدة وحلفائها وبعد اكتشاف زيف الحملة على الإرهاب، وزيف المبررات التي قدمت لاحتلال العراق، أخرج الحاوي الأمريكي من جرابه سياسات الغزو الناعم أو الصيد بالإغواء، التي تستهدف إعادة احتلال البلدان العربية بعد تحويلها إلى بلدان فاشلة

كما تستهدف ضرب أهم حلقات محور المقاومة للمشروعين الإمبريالي والصهيوني في سوريا من خلال تجنيد أموال نفط الخليج والجهاديين والعمائم الرخيصة الثمن للقيام بذلك.

**التمدد الإمبريالي الأمريكي والربيع العربي:**

تتنازع الأدب السياسي المتعامل مع مايسمى في الغرب بثورات الربيع العربي، نظريتان: ترى الأولى أنّ ما جرى في السنوات الثلاث الأولى من العقد الثاني للألفية الثالثة من انتفاضات، واضطرابات سياسية اتسمت بالعنف المسلح، في جل البلدان العربية كاليمن وليبيا وسوريا، والعنف غير المسلح في بعضها الآخر كتونس ومصر ترى أنّها مجرد مؤامرة أمريكية غربية تستهدف اسقاط أنظمة الحكم القومية والاشتراكية في ليبيا وسوريا والجزائر، مع السماح بسقوط بعض الحكام المواليين لأمريكا والغرب، لانتهاء صلاحيتهم من جهة، وحتى لا تنكشف المؤامرة الأمريكية والغربية على المنطقة من جهة أخرى، ولا تؤدي المساندة الغربية للنظم الموالية لها في المنطقة إلى فقدان الغرب للتحكم في خيوط اللعبة، وانقلاب السحر على الساحر، فيخسر الغرب كل المنطقة العربية، عوضاً عن خسران بعض العملاء المخلصين له فيها.

وترى النظرية الثانية أنّ النظرية الأولى مجرد نظرية مؤامرة ، وأنّ ما حدث خلال هذه السنوات الثلاث ثورات جماهيرية حقيقية في مواجهة الاستبداد، ولا علاقة للغرب بها بل إنّه فُوجئ بها كما فُوجئ بها الآخرون.

في حين يرى البعض تفسير أخر، لما جرى ويجري في بعض البلدان العربية منذ ٢٠١١ وحتى اليوم، يدمج بين النظريتين أعلاه، ذلك أنّ انطلاق الانتفاضات العربية كانت على الأرجح عفوية، أو وطنية المنشأ وبدون تدبير خارجي، غير أنّ الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة تدخل لمحاولة تغيير مجرى النهر.

كما فعلت بريطانيا والغرب مع الثورة العربية ضد الدولة العثمانية بقيادة الشريف حسين، تلك الثورة التي كانت تطمح إلى تحرير العرب، وتأسيس دولة موحدة لهم تحت قيادة الشريف حسين، غير أنّها بعد أنْ غيّر مجراها الغربيون انتهت إلى سايكس بيكو، أو إلى استبدال التركي بالاحتلال الغربي للمنطقة العربية. ومن هناك فلن يتجاوز ما حدث في ليبيا وسوريا واليمن، استبدال استبداد محلي بسلطة ميليشيات قبلية وطائفية، وحتى حروب أهلية في ظل هيمنة خارجية أما في مصر وتونس فقد تنجح النخب السياسية والاقتصادية في استنساخ التجربة الغربية، إذ قد تفرز التجاذبات السياسية فيهما شكلاً من أشكال الديمقراطيات التي تستند إلى اقتصاد السوق، إن تمكنتا من تعطيل التدخل الخارجي الغربي والخليجي في شؤونهما الداخلية.

**أسباب استهداف المنطقة العربية والإسلامية:**

١- السيطرة على النفط والغاز في المنطقة العربية والإسلامية، والحيلولة دون السيطرة عليه من قوى منافسة أو مناهضة لأمريكا والغرب.

٢- التحكم في خطوط الملاحة الجوية والبحرية التي تمر عبر المنطقة، والحيلولة دون أن تتحكم فيها قوى منافسة أو مناهضة لأمريكا والغرب.

٣-تشكل المنطقة العربية والإسلامية المنطقة الرخوة والحلقة الأضعف، التي من شأن البدء بها في مشروعات التمدد الإمبريالي الأمريكي رفع معنويات الجنود وإرهاب المنافسين والأعداء المحتملين وهو ما عبر عنه جان بريكمون بالقول ووفق هذا المنظور الاستراتيجي، قررت الولايات المتحدة ان تكون أولى ضرباتها في المنطقة الممتدة من البلقان الي آسيا الوسطي الي الشرق الأوسط والخليج لماذا اختارت واشنطن هذه المنطقة ميداناً لأولي الحروب الأمريكية في القرن الواحد والعشرين ؟ ليس لأنها تأوي اعداء خطرين.

فالعكس هو الصحيح، ولكن لأنها البطن الرخو للنظام العالمي ، وتتكون من مجتمعات عاجزة – لاسباب عديدة – عن الرد علي العدوان، ولو بأدنى قدر من الكفاءة إن توجيه ضربة للضعيف في مستهل سلسلة حروب طويلة هي استراتيجية عسكرية واضحة ومبتذلة؛ إنّها علي غرار ما فعل هتلر عندما بدأ بغزو تشيكوسلوفاكيا، ثم ليرتقي بطموحاته لتشمل المملكة المتحدة وفرنسا وروسيا

٤- الخوف من النهوض العربي والإسلامي، ذلك أنّه ثمة شعور سائد لدى الغربيين بأنّه ما أن ينهض العرب حتى يفكروا في تقويض الحضارة الغربية.

٥- حضور العرب والمسلمين في الفكر الغربي كعدو، وهو ما جعل صناع القرار والسياسات في الولايات المتحدة والغرب يستثمرون ذلك في محاولاتهم الدؤوبة لتصنيع العدو، الذي تحتاج إليه المجتمعات الغربية على نحو عام، والمجتمع الأمريكي على نحو خاص لتتكاثف وتتوحد، عقب اختفاء الاتحاد السوفيتي العدو التقليدي للغرب.

٦-الحضور العسكري الأمريكي والغربي في المنطقة العربية والإسلامية، يمكّن الولايات المتحدة والغرب من المرابطة على تخوم القوى الناهضة في آسيا وأوروبا، لمراقبتها والحد من دورها الإقليمي والدولي.

# الباب الخامس
# التحول من القوة الصلبة الى الناعمة

## القوى الكبرى وضوابط التغييرات الاستراتيجية:

كثيرًا ما يبني الحالمون في عالمنا العربي والإسلامي توقعاتهم بشأن قضايا الأمة الرئيسة على أطراف وقوى خارجية يعتبرونها الأقدر على حل هذه القضايا والتعامل مع تلك المشكلات فعلى سبيل المثال يعتقد الكثيرون من أبناء الأمة ومثقفيها أن الإدارات الديمقراطية في واشنطن هي الأقرب لقضايا المسلمين من نظرائها من الإدارات الجمهورية، ومن ثم فهم يهللون ويستبشرون حينما يتولى باراك أوباما الديمقراطي مقاليد السلطة في بلاده بدلاً من جورج دبليو بوش الجمهوري كما يعتقد الكثيرون أن حزب العمل الإسرائيلي اليساري أقل تطرفاً ومن ثم أقرب للسعي من أجل السلام من حزب الليكود اليميني، وعليه فهم يحزنون ويجزعون لفوز بنيامين نتنياهو على خصمه أيهود باراك وينسى هؤلاء المستبشرون في الحالة الأولى فوز أوباما بالرئاسة الأمريكيةوالجزعون في الحالة الثانية فوز نتنياهو برئاسة حكومة اليهود أن ما يحكم الدول سياسات واستراتيجيات وليس أفراد وإدارات، ومن ثم فقد تتغير الرئاسات والإدارات تبعاً للعمليات الانتخابية والآليات الدستورية

لا شك أن من المسلم به في التحليل السياسي أن واقع العلاقات الدولية ليس نمطاً أو حالة جامدة، بل يمكن النظر إلى ذلك الواقع باعتباره عملية متغيرة ومتطورة تتسم بالحراك والمرونة والديناميكية وتتدفع تلك العملية من سعي الأطراف والقوى المؤثرة في الواقع الدولي إلى الحفاظ على أوضاعها ومصالحها التي تعكس ما تحوزه من قدرات وإمكانات نسبية

فعندما تتغير القدرات بشكل حاسم لدى طرف ما فإن باقي الأطراف وفقًا لتحليل المدرسة الواقعية يسعون إلى إعادة التوازن من جديد عبر تفعيل سياسات واستراتيجيات جديدة تتناسب مع مستجدات الواقع الدولي وتحولاته، حيث تدرك الأطراف المؤثرة في ذلك الواقع أنه في ظل بيئة دولية لا يحكمها إلا منطق التنافس والصراع الذي يتحول إلى سياسات وسياسات مضادة؛ فإن حماية حدودها ومكتسباتها فضلاً عن تحقيق مصالحها واستراتيجياتها المبتغاة؛رهن بامتلاك القوة والسعي الدائم إلى تعظيمها إلى أبعد مدى ممكن.

وإذا ما تقرر لدينا استقراء أن الواقع الدولي متغير فيما يتعلق بتراتب القوى الكبرى المؤثرة صعوداً وهبوطاً وفقًا لما تحوزه الدول من محددات القوة فإن واقع تلك الدول لا يتسم بالثبات التام أو الجمود فيما يتعلق بسياساتها واستراتيجياتها وتفاعلاتها الدولية.

**أنماط التغير الاستراتيجي ومحدداته:**

هناك أربعة أنماط نظرية للتغير في استراتيجيات الدول وسياساتها الخارجية التي تحكم حركة تفاعلاتها الدولية وفقًا لتشارلز هيرمان٠ أولها: ما يمكن وصفه بالتغير التكيفي ويقصد به التغير في مستوى الاهتمام الموجه إلى قضية ما مع بقاء أهداف السياسة وأدواتها تجاه التعامل مع تلك القضية كما هي دون المساس بها أو تغييرها وثانيها : ما يطلق عليه تغير البرنامج وينصرف إلى تغيير أدوات السياسة ووسائلها دون أي تغيير فيما يتعلق بالأهداف والغايات المقصودة من ورائها وثالثها: ما يسمى بالتغير الهادف وفي هذا النمط تتغير أهداف السياسة ذاتها ومن ثم تتغير أدواتها ووسائلها بالتبعية ورابعها: هو التغير التوجهي

وهو أكثر الأنماط الأربعة تطرفًاً وجذريةً إذ ينصرف إلى تغير يمس التوجه العام للسياسة الخارجية للدولة بما في ذلك تغير الاستراتيجيات وما يتبعها من أهداف وغايات ووسائل وأدوات.

وإذا كان النمط الأول التغير التكيفي طبقًا لهيرمان يعد نمطًا نظريًا بحتًاً دون أن يكون له عائد حقيقي على واقع الاستراتيجيات وأهدافها لذا فهو من الناحية العملية لا يعد تغيرًا حقيقيًا، والنمط الرابع التغير التوجهي يعد وفقًا لجيمس روزيناو شكلاً نادر الحدوث في العلاقات الدولية، ومن ثم فإن النمطين الثاني والثالث هما الأكثر شيوعًا من بين الأنماط النظرية الأربعة المفترضة للتغير في السياسات الدولية واستنادًا لما سبق بيانه من تعدد أنماط التغير في سياسات واستراتيجيات الدول؛ فإن ثمة محددات تحكم إطار عملية الاستمرار أو التغيير في تلك السياسات، حيث تُعين تلك المحددات مدى حاجة دولة ما إلى تغيير سياساتها واستراتيجياتها أو الإبقاء عليها واستمرارها بشكل كلي أو جزئي، نجملها باختصارفي العناصر التالية:

أولاً: الأهمية النسبية لأهداف السياسة

ثانيًا: المدى الزمني اللازم لتحقيق الأهداف الاستراتيجية للدولة

ثالثًا: مدى توافر الأدوات والوسائل المناسبة لتحقيق أهداف الاستراتيجية.

رابعًا: المقدرات النسبية للدولة، وتعني حساب حجم الموارد التي تمتلكها الدولة واللازمة لتنفيذ السياسة المرادة

خامسًا: الوحدات الدولية التي تتعامل معها أو تستهدفها السياسة.

سادسًا: القواعد الحاكمة للمباريات على الساحة الدولية، ويقصد بها الحدود المتاحة والمسموح بها .

المحددات السابقة تحكم -إلى حد كبير- سلوك الدول فيما يتعلق باستراتيجياتها على المستوى الدولي وبناءً على ما سبق من محددات تقرر الدولة وجهتها من الاستمرار أو التغيير فيما تعتزم تنفيذه من سياسات على الصعيد الدولي.

**التغيير الاستراتيجي ما بين الجذري والمتدرج:**

تتجه الدول عادة نحو إقرار الأبعاد الرئيسية لسياساتها الهادفة إلى تحقيق مصالحها وغاياتها بعد كثير من التمحيص والتدقيق والدراسات المتعلقة بواقعها وواقع الآخرين المنافسين والمستهدفين، ومن ثم فإن تلك السياسات تتميز بقدر من الثبات النسبي ولا نقول الجمود، حيث يتسم التغيير الذي قد يطرأ على السياسات الخارجية للدول واستراتيجياتها بالتدرج، ومن ثم فإن حدوث تغييرات جذرية في تلك السياسات لا يتم إلا في حالات نادرة، في حين يكون السائد في سلوك تلك الدول هو قبول التغيير المحدود في الأبعاد الهامشية لسياساتها دون المساس بأبعادها الرئيسية بشكل جذري شامل.

ويمكن تفسير تدرج التغير في السياسات الدولية بالنمط السائد في العلاقات الدولية وارتباطاتها والذي يفرض على الأطراف الفاعلة اتباع سياسات معينة، الأمر الذي يجعل من العسير عليها إحداث تغييرات مفاجئة في استراتيجياتها على المدى الزمني القصير أو حتى المتوسط، إضافة إلى ارتباط تلك الاستراتيجيات في الغالب بمصالح الدولة العليا وأمنها القومي وهي من الأمور التي تتسم بالثبات وعدم القابلية للتغيير.

أمريكا بعد أكثر من عشر سنوات من الاحتلال العسكري لأفغانستان، وخسائر مادية وبشرية مهولة، وصلت إلى قناعة أكيدة مفادها: أن الحسم العسكري لن ينتهي بشيء في هذا البلد المشتهر تاريخيًّا بأنه مقبرة الغزاة

وأن على الأمريكان أن يلجأوا إلى طريقة أخرى لتكريس وجودهم في هذه المنطقة الحساسة من العالم، ومن ثم كان التحول الأمريكي المعروف، من القوة الخشنة إلى القوة الناعمة التي ثبت أنها الأكثر فاعلية مع الشعوب العنيدة الصلبة، أو بعبارة أخرى مع الشعوب المسلمة، الأستاذ بجامعة هارفارد المشهورة جوزيف ناي الذي صاغ نظرية القوة الناعمة، يصفها بأنها القدرة على الحصول على النتائج من خلال الجذب وليس عن طريق القوة أو الدفع، والتعليم كان دائمًا موردًا هامًّا لتحقيق ذلك، فالتعليم كان دومًا من أسلحة التغلغل وبسط النفوذ، والمقدمة الموطئة للاحتلال الفكري والثقافي والاجتماعي.

الجامعة الأمريكية نشأت أصلاً لتكون هيئة تنصيرية ذات غطاء تعليمي، وبالتوازي مع الهدف الرئيس أخذت الجامعة في التركيز علي إعداد جيل من النخب الشابة، الذين سيقودون البلاد فيما بعد، بحيث تكون ثقافتهم وطريقة تفكيرهم أمريكية صرفة، وبالتالي يواصل الأمريكان احتلالهم للبلاد، ولكن بتكلفة زهيدة، احتلال بالوكالة عن طريق النخب الحاكمة في البلاد المسلمة، وقد آتت تلك الأفكار والسياسات أُكلها في منطقة الشرق الأوسط التي شهدت انطلاق هذه الفكرة الاستعمارية الماكرة، في القاهرة وبيروت، فمعظم الساسة الذين لعبوا أدوارًا حاسمة في الشرق الأوسط من خريجي هذه الجامعة، أما على المستوى العلمي والأكاديمي فالجامعة الأمريكية لم تفد المجتمعات العربية والإسلامية في شيء يذكر، فعلى الرغم من مرور قرابة المائة عام على إنشاء الجامعة في القاهرة وبيروت إلا أنها لم تقدم عالمًا واحدًا في المجالات العلمية المتخصصة، ولم تقدم معاملها اختراعًا مفيدًا أو اكتشافًا مسهمًا، وغاية الجهد البحثي لهذه الجامعة منصب على الغرض الاستعماري التي نشأت الجامعة من أجله في الأساس.

فالجامعة الأعرق في المنطقة لا يوجد بها حتى كتابة هذه السطور سوى مركزين للبحوث، مركز البحوث الاجتماعية الذي أنشئ سنة ١٩٥١، ومركز بحوث الصحراء، أما الأنشطة الأخرى للجامعة فهي تصب مباشرة في العمل التنصيري، فهي تمد يد العون والمساعدات الطبية والمادية لأفقر أحياء القاهرة، وتقيم مشروعات مريبة في المناطق التي يسود فيها الجهل والفقر والمرض وربما لعبت هذه الجامعة دورًا استخباراتيًّا، كما كشفت بعض الوثائق السرية المسربة سنة ٢٠١٠ من البنتاجون ووزارة الدفاع والمالية الأمريكية عن صفقة مخابراتية بين البنتاجون والجامعة الأمريكية لعمل أبحاث معلومات حساسة عن المجتمع المصري، تحت غطاء البحث العلمي.

أما في أفغانستان، فقد تأسست الجامعة الأمريكية في كابول عام ٢٠٠٤، من قبل كبار رجال الأعمال وأعيان وعلمانيين أفغان، وتشترك مع المؤسسات التعليمية في المرحلة الجامعية، الدراسات العليا ومناهج التنمية المهنية، الجامعة تجذب الطلبة من البشتون والهزارة والأوزبك والطاجيك والتركمان وغيرهم الكثير، مما يهيئ البيئة لقبول أفكار التعايش والسلام بالمفهوم الأمريكي بين جميع شرائح المجتمع الأفغاني، في مايو ٢٠١١ تخرجت أول دفعة من الجامعة، وعددها ٣٢ طالبًا: ٩ نساء و٢٣ رجلاً، مع منحتين دراسيتين بأمريكا، وفي عام ٢٠١٢، تخرج ٥٢، مع ٦ منح دراسية، والجدير بالذكر أن إقبال النساء على الجامعة أكبر من الذكور بنسبة ٢٥% بالطبع الأمريكان لا يرغبون في تطوير أفغانستان ولا مدينتها، بقدر ما يريدون تخريج جيل أفغاني جديد قادر على ضبط البلاد القلقة، ويغير من تركيبتها ويسلخها عن هويتها وقوميتها، بالصورة التي تتماشى مع المصالح الأمريكية في المنطقة، جيل يجمع بين الجنسية الأفغانية والعقلية الأمريكية، لونه ولسانه أفغاني، وتفكيره وقراره ومنهجه أمريكاني.

وبالتالي فإن أمريكا في حاجة لتعديل خططها الرامية لسحب آخر جندي أمريكي كما هو معد سلفًا في ٢٠١٤والهدف المعلن لهذه الجامعة كما قالها صراحة كريس تايلور هو: الالتزام بإعداد جيل جديد من القادة الأفغان الذين سيدفعون بأفكار جديدة لمكافحة التطرف، ورفض الفساد، وتبني المساواة بين الرجل والمرأة، وإقامة علاقات إقليمية على المدى الطويل، وإسماع صوت الشباب الأفغان، الذين هم مستقبل بلادهم، وبناء مجتمع معتدل وحر وهو المجتمع المثالي المتوافق مع المصالح والمخططات الأمريكية.

ونظرة التنصير القديمة للمنصر القس زويمر إن الشجرة لا بد أن يقطعها أحد أغصانها، ما زالت تحكم العقل الغربي، ففي جلسة استماع أمام لجنة القوات المسلحة بمجلس النواب، شهد الجنرال جون ألين قائد المساعدة الدولية لإرساء الأمن في أفغانستان إيساف أنه على مر التاريخ نادرًا ما تم هزيمة التمرد من قبل القوات الأجنبية، وعلى العكس من ذلك، فقد تعرضوا للهزيمة من قوات محلية يعني أن المقاومة التي وصفها بالتمرد، لن تغلب إلا على أيدي محلية من نفس أبناء البلد المحتل، أي سياسة القتال بالوكالة، واصطناع العملاء، ورعاية الغصن الذي سيقطع الشجرة، فهل سيحقق الأمريكان نفس النجاح الذي حققوه بجامعتهم المشئومة من قبل في الشرق الأوسط، أم ستتحطم أحلامهم على صلابة شعب لا يعرف اليأس أبدًا؟

### أسباب التغيير الجذري:

غير أن التدرج لتغير السياسات لا ينفي إمكانية حدوث تحولات جذرية في سياسات الدول واستراتيجياتها، غير أن ذلك التحول الجذري – وبمنطق الاستقراء والتتبع التاريخي – ليس من سمات الدول الكبرى، ولكنه من سمات الدول النامية والتسلطية عموماً ومرد ذلك إلى عاملين أساسيين أولهما: شخصنة القرار السياسي في ذلك النمط من الدول

فالقائد السياسي يهيمن على عملية صنع السياسات وصياغة الاستراتيجيات في ذلك النوع من نظم الحكم، ومن ثم فإن سياسات الدولة واستراتيجياتها تتأثر بعقائد ذلك القائد ورؤيته للعالم، لذا فإنه من الوارد أن تتغير توجهات دولة ما إذا ما تغير قائدها أيًا كانت طريقة التغيير، كما أنه من الوارد أيضًا أن تتغير توجهات تلك الدولة مع بقاء القائد نفسه في منصبه وذلك إذا ما حدث تغير في النمط العقدي لذلك القائد كأن يتحول من تبني الاشتراكية إلى اعتناق الليبرالية أو من الأخذ بمبدأ التخطيط الاقتصادي المركزي إلى تغليب اقتصادات السوق وهكذا أما العامل الثاني فهو الانشقاقات السياسية التي قد تحدث داخل النخبة الحاكمة في النظام المتسلط وما تؤدي إليه من عدم وجود إجماع داخلي حول الخطوط العريضة والرئيسية في استراتيجيات الدولة، حيث تدفع انشقاقات النخبة الحاكمة باتجاه نشوب صراعات داخلية قد تؤدي إلى تفوق أحد الأجنحة داخل تلك النخبة وتفردها بالسلطة الأمر الذي ربما يعمل على إحداث تغييرات جذرية في سياسات واستراتيجيات تلك الدولة بشكل دراماتيكي وهناك أربعة عوامل حاسمة يمكن القول إنها تحدد درجة تغيير السياسات والاستراتيجيات ومداه في ذلك النوع من النظم السياسية:

أولها: تصورات النخبة الحاكمة ورؤيتها بشأن الدولة وقوتها ودورها وحدود ذلك الدور.

وثانيها: رؤية النخبة الحاكمة بشأن طبيعة النظام الدولي وموقع الدولة من ذلك النظام وحدود التأثير فيه والتأثر به.

وثالثها: البدائل المتاحة للسياسات الحالية للدولة ومدى ملاءمتها لتصورات تلك النخبة.

ورابعها: ما يفرضه ذلك التغيير في سياسات الدولة من تكلفة مادية ومعنوية ومدى تحمل تلك الدولة لنتائج وتبعات ذلك التغيير.

**عودة روسيا والصين:**

منذ سقوط الاتحاد السوفييتي لم تتوقف مراكز الأبحاث الاستراتيجية الأمريكية عن السعي لإيجاد السبل الكفيلة لضمان هيمنة الولايات المتحدة على العالم كقطب أوحد، لكنها لم تستطع رغم كل ما بذل من جهود، تجاهل احتمالات عودة روسيا للمنافسة على الزعامة العالمية ولم يكن السؤال المطروح وقتها هو هل ستعود روسيا أم لا كقوة عالمية بعد تفكك الاتحاد السوفييتي وانهياره؟ بل كان السؤال المطروح دائماً، هو متى ستعود روسيا؟ لكن السؤال الأهم هو كيف يمكن عرقلة هذه العودة؟ وفي الواقع لم تكن روسيا وحدها المعنية بمثل هذا السؤال، فقد وصل الحرص الأمريكي على فرض وتأمين بقاء الهيمنة الأمريكية على العالم لدرجة وضع أوروبا واليابان والقوى العالمية والإقليمية الصاعدة خاصة الصين والهند ضمن الدائرة ذاتها، أي منعها من أن تتحول إلى قوة قادرة على منافسة الزعامة الأمريكية للعالم، لكن ما حظيت به روسيا من اهتمامات وما تعرضت له من سياسات أمريكية فاق غيرها من القوى العالمية والإقليمية الأخرى.

فبعد أن تمكنت الولايات المتحدة عبر الضغوط الاقتصادية والشروط السياسية من اجبار روسيا على انتهاج سياسات وبرامج اقتصادية تجعلها قابلة للخضوع الدائم للمطالب الأمريكية والغربية، بدأ الاتجاه السريع إلى دمج حلفاء روسيا السابقين في شرق ووسط أوروبا في المؤسسات الاقتصادية والسياسية والعسكرية الغربية، خاصة الاتحاد الأوروبي والحلف الأطلسي وبدأ الاتجاه نحو اختراق الجمهوريات السوفييتية السابقة وتشجيعها على التمرد على روسيا وإغراء بعضها بالانضمام لحلف الناتو خاصة جورجيا وأوكرانيا، تمهيداً لعزل روسيا وفرض طوق حولها

ثم جاء التوجه الأمريكي لبناء وإقامة درع صاروخية على مسافة قريبة من روسيا خاصة في بولندا ، تحت زعم التحسب لخطر الصواريخ البالستية المحتملة من محور الشر إيران وكوريا الشمالية لاستكمال محاصرة روسيا وتحييد قوتها النووية وحرمانها من أهم مصادر قوتها المنافسة للولايات المتحدة.

فبعد أن اعترفت الولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي باستقلال كوسوفا عن صربيا، وما يعنيه ذلك من اخراج كوسوفا من العالم السلافي الحليف لروسيا، ومن دون أي اعتبار للرفض الروسي لهذه الخطوة أقدمت الولايات المتحدة على ممارسة المزيد من سياسات الاستفزاز لروسيا، وجاء توقيع وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة كوندوليزا رايس رسمياً على اتفاق إقامة الدرع الصاروخية الأمريكية في بولندا مع نظيرها اليولندي ، رغم الرفض والتحذير الروسي الذي وصل إلى التهديد باستخدام الأسلحة النووية في مواجهة هذا الدرع الصاروخي ليعلن أن الولايات المتحدة وصلت إلى الحد الأقصى في الضغط على روسيا التي لم يعد أمامها غير خيارين: إما أن تقبل الأمر الواقع وترضى بعزلها نهائياً خصوصاً أن التوقيع الأمريكي مع بولندا على اتفاقية الدرع الصاروخي على أراضيها تزامن مع اشارات أمريكية وألمانية بضم كل من جورجيا وأوكرانيا إلى حلف الناتو، وإما أن ترفض وتعلن التحدي للإرادة الأمريكية.

من هنا بالتحديد يمكن فهم الأسباب الحقيقية التي دفعت روسيا إلى التدخل العسكري القوي والحاسم ضد جورجيا وإجبارها على سحب قواتها من أراضي أقليم أوسيتيا الجنوبية، وما تبع ذلك من سياسات ومواقف تصعيد روسية فاجأت الأمريكيين لدرجة أربكت ردود فعلهم وانتزعت منهم القدرة على المبادأة ووضعتهم في الدائرة الضيقة لردود الفعل.

الأهم من هذا كله هو ما كشفته إدارة روسيا لهذه الأزمة من حقائق أكدت أن موازين جديدة للقوة أخذت تفرض نفسها على الواقع الأوروبي، وأن أوروبا عادت مجدداً ساحة للصراع بين روسيا والغرب، وأن الحرب الروسية الجورجية لم تكن إلا أزمة كشفت واقع دولي جديد أرادت روسيا الافصاح عنه فقد ظهر الموقف الروسي متماسكاً وقوياً وغير قابل للتنازل أو للتراجع على عكس الموقف الأمريكي، كما نجحت روسيا في منع صدور أي قرار من مجلس الأمن يدين تدخلها العسكري في جورجيا أو يفرض عليها الانسحاب، لكنها قبلت اتفاق لوقف إطلاق النار فقط، واستخدمت موسكو لهجة قوية مماثلة في الرد على إدانة الدول الصناعية الكبرى لتحركاتها في القوقاز.

كانت أزمة جورجيا مجرد مؤشر على العودة الروسية التي تأكدت بعد ذلك في مواقف روسية مستقلة عن واشنطن ودول الاتحاد الأوروبي نحو أزمة البرنامج النووي الإيراني، والأزمة السورية، لكن الأهم هو التوجه الروسي نحو الصين والهند ودفع منظمة شنغهاي، لتكون إيذاناً بفرض قطب دولي جديد قادر على التأثير وبقوة في مجريات الصراع الدولي، وهي المنظمة التي تضم روسيا والصين مع أربع جمهوريات سوفييتية سابقة هي: كازاخستان وأوزبكستان وطاجيكستان وقيرغيزستان، إضافة إلى أربع دول أخرى تتمتع بصفة مراقب من أبرزها الهند وإيران.

رهان روسيا الأساسي في هذه المنظمة يتركز على كل من الصين والهند وكيفية التقريب بين البلدين واحتواء كل ما تحاول الإدارة الأمريكية فعله نحو الهند للوقيعة بينها وبين الصين أولاً والحيلولة دون توافقهما، والسعي ثانياً لإكساب العلاقات الأمريكية الهندية خصوصية تمكن واشنطن من أن تفرض وجودها قوياً في آسيا اعتماداً على التحالف مع الهند، في وقت ترى فيه الإدارة الأمريكية أن أولوية واشنطن الآن باتت مركزة على آسيا أكثر من أوروبا والشرق الأوسط.

ربما يكون الصعود الصيني المخيف للأمريكيين سبباً وراء حسم الإدارة الأمريكية لهذا التوجه، إضافة إلى التحسب من البروز القوي للهند من أجل التقدم فالصين بحلول عام ٢٠٤٩ الذي سيصادف احتفالها بمئوية جمهوريتها سوف تحتفل بتبوّء ناتجها المحلي الإجمالي المرتبة الأولى على مستوى العالم فلدى الصين حالياً ١٩ تريليون دولار احتياطي نقدي، أي ما يعادل ثلاثة أضعاف احتياطيات دول الاتحاد الأوروبي مجتمعة، لكن الأهم من ذلك هو أن هذا التقدم الاقتصادي الصيني لم يأت عبر نظام اقتصادي رأسمالي تتزعمه الولايات المتحدة، ولكنه جاء عن طريق اقتصاد موجه، وربما لا يعرف الكثيرون أن معظم الشركات الكبرى في بورصة شنغهاي إما أنها مملوكة بالكامل أو جزئياً للدولة كما أن معدل النمو الاقتصادي الصيني بلغ خلال ربع القرن الأخير ٩%، وازداد دخل الفرد ستة أضعاف، وتم صعود ما لا يقل عن ٤٠٠ مليون صيني إلى ما يتجاوز حد الفقر.

التقدم الصيني لم يكن اقتصادياً فقط مقارنة بالوضع الأمريكي لكنه امتد إلى كل نواحي القوة الشاملة للصين، وأصبحت القوة الناعمة الصينية متفوقة هي الأخرى بقدر يوازي تقريباً التقدم الاقتصادي فوفقاً لتصنيف فورتشين أخيراً لأكبر الشركات العشر في العالم، لم يكن للولايات المتحدة غير اثنتين فقط هما والمارت في الترتيب الأول، وايكسون موبيل في الترتيب الثاني، في حين كانت هناك ثلاث شركات صينية من بين الشركات العشر الكبرى في العالم هي: سينوبيك وستيت جريد، وشركة بترول الصين الوطنية، وأخيراً بدأ واضعو السياسات في الصين يدركون أن مصالح الصين الاقتصادية باتت تمضي بمعدلات أسرع من الاستطاعة العسكرية اللازمة لحماية هذه المصالح، لذلك قرروا العمل على تجسير الفجوة بين النمو والمصالح الاقتصادية والمقدرة العسكرية.

في هذا السياق اعطيت الأولوية لحماية الخطوط والطرق البحرية لناقلات النفط، وعملت الصين على تقديم تمويل ومساعدات تقنية ولوجستية لتشييد موانئ وخطوط أنابيب بترول في باكستان وبنجلاديش وبورما وبمجرد الفراغ من إكمال هذه المنشآت ستوجه الصين مخططاتها وقواتها البحرية نحو الشرق الأوسط والمحيط الهندي حيث لاتزال واشنطن تهيمن عليهما.

**روسيا وأمريكا: القوة الصلبة والقوة الناعمة:**

منذ انتهاء الحرب الباردة مع انتهاء الاتحاد السوفيتى، والولايات المتحدة هى من يستخدم القوة الصلبة فى تحقيق أهدافها العدوانية تجاه الدول الأخرى, بينما كانت روسيا مكتفية باستخدام القوة الصلبه داخل أراضيها خاصة ضد الشيشان دون أن تخرج خارج حدودها , حتى جاءت أحداث جورجيا , لتتبادل روسيا والولايات المتحدة الأدوار , اذ تدخلت روسيا عسكرياً لتفرض مصالحها بالقوة العسكرية, بينما وقفت الولايات المتحدة عند حد استخدام أساليب وأدوات القوة الناعمة, إلى درجة باتت معها تبرر هذا الخيار، حيث أعلن مسئولون أنهم نصحوا جورجيا بعدم الدخول فى مواجهة عسكرية مع روسيا , لأنها ستكون فى صالح روسيا،وهو ما يعنى أنهم أبلغوا جورجيا بعدم قدرتهم على التدخل العسكرى , أو تقديم الدعم العسكرى فى مثل تلك المعركة إلخ.

وفى خروج القوات الروسية خارج الحدود , والاعتداء على جارة لها , تبدأ روسيا في تحقيق مصالحها باستخدام القوة الصلبة , وفق ذات المبررات التى كانت تعلنها الولايات المتحدة والغرب فى الاعتداء على الدول الأخرى.

لقد جاء استخدام القوات المسلحه الروسية ضد جورجيا , وفق تبريرات تتعلق بأوضاع داخليه فى هذا البلد غزو القوات الجورجية لأحد أقاليمها الداخلية بما يذكر بتبريرات العدوان الأمريكى على العراق وأفغانستان لأسباب داخلية , إذ بررت الولايات المتحدة غزوها لأفغانستان, كما بررت غزوها للعراق بتصرفات صدام ضد الأكراد والشيعة وبسعيها لتحقيق الديمقرطية داخل العراق وهو ما يعني أننا أمام تبريرات استخدام القوة المسلحة من دولة ضد أخرى, بسبب أحداث داخلية فى الدولة المعتدى عليها من قِبل أمريكا وروسيا كما يعنى التوسع فى ظاهرة تحقيق الدول الكبرى لنفوذها بالاعتداء العسكرى على الدول الأضعف.

الغزو والاحتلال والقتل والتدمير، يجري بالقوة الصلبة, هكذا الأمر واضح، لكن من قال أن القوة الصلبة هى وحدها من تقتل وتدمر , انما هو مخطئ فى التقدير حيث الغزو والاحتلال والقتل والتدمير يجري وبذات نتائجه، باستخدام القوة الناعمة، حتى يمكن القول أن من تصور يوماً أن القوة الصلبة وحدها هى التى تقتل وتدمر وتبيد وتحتل، ولم يفهم أن الفتنة أشد من القتل مات بالقوة الناعمة وبالفتنة ،وهو يصرخ مندهشاً مما يجرى له وتلك هى اخطر مشكلات الوضع العربي السياسي والثقافي والإعلامي، على صعيد النخب والجهود معاً؛ إذا جاز الوصف.

والقوة الصلبة ،هى استخدام للقوة العسكرية والأمنية السلاح فى الفعل المباشر من دولة ضد دولة أخرى ومن جيش ضد آخر، وفى ذلك يقال أن الحرب هى امتداد للسياسة بوسائل الاكراه والقتل والتدمير، وان السياسة الخارجية هى امتداد للسياسة الداخلية أما القوة الناعمة، فهى مجموع الوسائل السياسيبة والدبلوماسية والاقتصادية والقانونية والاعلامية ،التى تستخدمها الدول ضد بعضها البعض لفرض إرادتها على بعضها البعض أي لتحقيق سياستها الخارجية التى هى امتداد للسياسة الداخلية .

## تحولات السياسة والإستراتيجية:

شهدت الولايات المتحدة بعد عام ١٩٨٩ موجة مراجعة شاملة للسياسات والمواقف الأمريكية قائمة على الانكفاء للداخل، وتقليص الإنفاق العسكري، حتى أن محطات الإعلام الأمريكي خفضت مكاتبها الخارجية بنسبة الثلثين، ولكن أحداث ١١ سبتمبر أعادت السياسة الخارجية مرة أخرى إلى الواجهة وجعلتها مركز الإستراتيجية الأمريكية فقد كشفت الأحداث عن الحاجة إلى إستراتيجية أمريكية جديدة قائمة على القوة العسكرية والقوة الناعمة التي لا تقل أهمية عن السلاح والتقنية ويقصد بها الثقافة والإعلام، إذ تبين للأمريكيين أن العالم يكرههم، فتنبهوا إلى ضرورة تنفيذ حملة إعلامية وفكرية تحت عنوان لماذا يكرهوننا؟. ويرجع عدم انتباه الأمريكان إلى كره العالم لهم إلى انشغالهم بأنفسهم، أو كما قال أحد مسؤولي محطات التلفزيون الأمريكية العملاقة إن الشباب الأمريكي يهتم بنظام التغذية والريجيم أكثر من اهتمامه بالخفايا المعقدة لدبلوماسية الشرق الأوسط.

لكن الأهم أن ثورة المعلومات والاتصالات أتاحت الفرصة للاعبين جدد غير الحكومات للعمل والتدخل والتأثير، وحدث ما يمكن تسميته بخصخصة الحرب، فقد استطاعت منظمات أهلية صغيرة ومحدودة في مناطق فقيرة وهامشية ومعزولة من العالم أن تشغل الولايات المتحدة وتهددها.

وتعتبر القوة الافتراضية أحدث أشكال القوة، التي أصبحت أكثر تأثيراً في الحياة اليومية للأفراد، وليس الدول فقط، حيث أصبح الأفراد قادرين على استخدامها في شن حروب غير تقليدية عبر هجمات الإرهاب الإلكتروني ،وإطلاق الفيروسات والتجسس الإلكتروني، والاختراق المباشر لشبكة المعلومات.

ان مفهوم القوة مفهوم اجتماعي، يتأثر بالتطورات التي تحدث في العالم، خاصة ما يتعلق منها بالمصادر الفعلية والمحتملة لتهديد الأمن، فالتغير في القوة، يُعد نوع من الاستجابة للمصادر المدركة للتهديد.

**ديناميكية التحول فى الصين من القوة الصلبة إلي القدرة الناعمة:**

أن الأدبيات الصينية تناقش مفهوم القوة الناعمة ولكن من منظور صيني, وتناقش كيف يمكن دعم القوة الناعمة الصينية واعتبار أن التركيز علي هذه القوة وتطويرها يجب أن يكون أحد الاستراتيجيات الرئيسية للصين في عصر العولمة, غير أن ما يلفت النظر في هذه المعالجة وفي سؤالها عن كيفية تنمية القوة الناعمة الصينية قولها: أن نقطة البداية في هذا يجب أن تبدأ من حيث فشلت الولايات المتحدة فى استخدام قوتها الناعمة في بناء الامبراطورية الأمريكية في العالم, وعلي العكس فان الصين يجب ألا تتبع الولايات المتحدة في التعامل مع النظام العالمي,بل يجب أن تنظر إلي التعدد الديمقراطي باعتباره الهدف الذي تنشده, وعلي الصين أن تعارض سياسات القوة القديمة, وأن تؤسس لسياسة دولية جديدة وتواصل هذا الطريق لكي يكون مصدر قوة الصين الناعمة وأن يتوازي مع ذلك إسراع الصين فى عملية إصلاحها الشامل والداخلي بما في ذلك إصلاح نظامها السياسي وتنمية سياساتها الديمقراطية ولكي تصبح أكبر بلد ديمقراطي بسمات اشتراكية ولأن السياسات الديمقراطية هي أفضل إدارة لتطوير القوة الناعمة, فان أكبر مصدر لقوة الصين الناعمة هو مصادرها البشرية الغنية ولكن الصين تحتاج لحكم الشعب والنظام الديمقراطي لتحويل المصادر البشرية إلي قوة ناعمة.

## أمريكا من القوة الصلبة إلى القوة الناعمة:

رغم أن مصطلح القوة الناعمة يعد من بين المصطلحات المحدثة في المجال الأكاديمي والخطاب السياسي والإعلامي الغربي إلا أنه قد شهد انتشارا واسع النطاق فبعد تفكك الاتحاد السوفييتي وتوحيد ألمانيا وامتداد المنظومة الليبرالية في الاقتصاد والسياسة إلى الشق الشرقي من القارة الأوروبية، ومواطن كثيرة من أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية، لم يعد ثمة ما يوحي فعلاً بأن هناك قوة ما قادرة على الوقوف في وجه النموذج الأمريكي فضلا عن مقارعته والتفوق عليه إلا أن مبالغة الولايات المتحدة الأمريكية في استخدام القوة العسكرية والتوسع الخارجي، والإعراض عن كل أشكال الوفاق والتحاف الدوليين قد أحاطها بركام هائل من الكراهية بين مختلف الشعوب وسائر قارات العالم تقريبا، بما حد من انسياب قوتها الناعمة وتأثيرها الخفي ورغم أن التراجع الأمريكي في مجال القوة الناعمة لم يكن وليد احتلال العراق سنة ٢٠٠٣ إلا أنه ليس ثمة شك في كون هذا الحدث كان له بالغ الأثر على صورة أمريكا وعلى نفوذها السياسي والثقافي في عموم الساحة العالمية وفي منطقة الشرق الأوسط على وجه الخصوص حيث أريد للعراق أن يكون مختبراً عملياً لعقيدة المحافظين الجدد في تغيير الأوضاع جذرياً في منطقة الشرق الأوسط، ومنه إعادة تشكيل الخارطة العالمية برمتها بقوة السلاح، بيد أن مجريات التدافع السياسي والعسكري في هذه النقطة من العالم بالغة التعقيد والحساسية قلبت الأوضاع رأساً على عقب وليس من المنتظر أن تتبخر القوة الأمريكية من الوجود، أو أن تشهد انكساراً مريعاً في وضعها لمجرد كون الجيش الأمريكي بات يواجه صعوبات عسكرية في أفغانستان والعراق، أو حتى لمجرد تزايد الكراهية لها في العالم وتضاؤل قوتها الناعمة ولكن من المؤكد هنا أنها ليست خارج قانون التاريخ والاجتماع السياسي الذي يسري على جميع الأمم والإمبراطوريات

فالولايات المتحدة الأمريكية شأنها في ذلك شأن الإمبراطوريات القديمة والحديثة التي تعاقبت، السيطرة الدولية لن تستطيع الاستحواذ على مصير العالم إلى أمد لا نهائي، ومن دون أن يصيبها شيء من الضعف والتحلل سواء نتيجة تطورات الأوضاع الدولية من حولها، أو نتيجة تكاثر أخطائها ومطباتها أو لكليهما معاً، وفعلاً هذا ما نشهده اليوم بصورة ملموسة مصحوبا بأزمة مالية واقتصادية خانقة لا بد من أن تترك آثارها على النفوذ الأمريكي فى العالم.

## العراق من القوة الصلبة إلى القوة الناعمة ـ هل ينجح ؟

تسعى الدول لتحقيق أمنها من خلال تسخير كل مصادرها المادية لتحقيق قوتها الفعلية والكامنة، خاصة القوة العسكرية، التي تعد من وجهة نظر الواقعية البعد الأهم في قوة الدولة، حيث تتحدد أهمية العناصر المادية الأخرى بالقدر الذي يقوم به البعد العسكري هذه النظرية ظلت ولفترة طويلة من الزمن تحكم واقع العلاقات ما بين الدول، إلى أن جاءت نظرية القوة الناعمة فرفضت أفتراضات المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية، واعتبرت أن الدولة ليست محدداً رئيسياً للسياسة الدولية مبررة ذلك بأن الساحة الدولية شهدت تنامياً في أدوار فاعلين جدد لعبوا دوراً مؤثرا في سلوك الدولة وطبقاً لنظرية القوة الناعمة هناك ثلاثة مصادر رئيسية للقوة الناعمة تتمثل فى القيم السياسية، عندما يتم تطبيقها بصدق داخل وخارج الدولة، والسلوك الخارجي للدولة، عندما يراه الآخرون مشروعاً.

القوة الناعمة لا تعتمد على القوة الصلبة، خلافاً لبعض الدول التي تتمتع أحياناً بثقل سياسي أكبر من وزنها العسكري أو الاقتصادي نظراً لتمدد مفهوم مصلحتها القومية ليشمل قضايا ذات جاذبية، مثل المعونات الاقتصادية أو حفظ السلام أو القيام بأدوار على المسرح السياسي، تفوق الامكانات الفعلية لهذه الدولة وتكون أكبر من حجمها

وربما يكون النموذج القطري حاضراً أمامنا من خلال ما تتمتع به هذه الدولة الصغيرة من قوة ناعمة كأستخدامها أداة الاعلام ولقد ظل العراق لعقود طويلة يعتمد في سياسته الخارجية على عناصر القوة الصلبة، أموال ضخمة ومؤسسات عسكرية متضخمة وأحزاب شوفينية وقيادة متسلطة على رقاب العراقيين كانت هي الأدوات الأساسية نفسها لقوة العراق الصلبة في الماضي، على الرغم مما يتمتع به من قدرات ناعمة تؤهلة للعب دور قيادي على المستوى الاقليمي والعالمي، حيث يعتبر العراق من الأمم العريقة في التاريخ وذات حضارة قديمة لذلك لابد أن يحوي قوة ناعمة في مفاصل عديدة من وجوده التنظيمي والاداري لذلك فأن بناء قوة ناعمة عراقية بات ضرورة وطنية لاتقل أهمية عن بناءِ القوات المسلحة العراقية، لأنها الوسيلة الوحيدة لاستعادة العراق مكانته الاقليمية، والعالمية التي تتناسب مع مقومات القوة لديه، بعد تخليه عن عوامل القوة الصلبة التي كان يمتلكها ويعتبر العراق بلد الحضارة الأولى، وعلى ضفافه نشأة وترعرعت أولى الامم، وأحتضن ومنذ القدم تأريخ يزخر بالانجازات ووعائه التراثي غني جداً فهو بلاد الشعراء والفنانين وبلاد الأدب والنحت والرسم ، وهم الأفضل على مستوى الوطن العربي بل وحتى على المستوى العالمي،كما كان العراق يوماً مركز الخلافة العباسية، حين كانت بغداد قبلة العلماء والمفكرين.

**المسلمون والقوة الناعمة :**

يعتقد جوزف ناي أن ثمة متغيرات دولية واجتماعية وعلمية كثيرة، تدفع باتجاه أن تكون القوة الناعمة هي مصدر القوة الأساس لدى الأمم والشعوب المتقدمة ويشير في كتابه الى أن القوتين الصلبة والناعمة مترابطتان لأنهما معا من جوانب قدرة المرء على تحقيق أغراضه بالتأثير على سلوك الآخرين وما يميز بينهما هو الدرجة في طبيعة السلوك وفي كون الموارد ملموسة فالقوة الآمرة - أي القدرة على تغيير ما يفعله الآخرون - يمكن أن ترتكز على الإرغام أو على الإغراء

أما قانون التعاون الطوعي - أي القدرة على تشكيل ما يريده الآخرون - فيمكن أن ترتكز على جاذبية ثقافة المرء وقيمه أو مقدرته على التلاعب بجدول أعمال الخيارات السياسية بطريقة تجعل الآخرين يعجزون عن التعبير عن بعض التفضيلات لأنها تبدو بعيدة عن الواقع أكثر من اللازم وتتدرج أنماط السلوك بين الأمر والتعاون الطوعي على مدى الطيف من الإرغام على الإغراء الاقتصادي،ولو تأملنا في التجربة الإسلامية التاريخية، لاكتشفنا بوضوح ما يسمى اليوم بالقوة الناعمة في انتشار الدين الإسلامي ودخول الناس أفواجاً في دين الله، بدون فرض وقهر، وإنما بفعل الجاذبية الأخلاقية والسلوكية وثمة نصوص قرآنية عديدة، تؤكد هذا المعنى، وتحث عليه، بوصفه الوسيلة الفعالة لنقل الآخرين من موقع الخصومة والعداء إلى موقع الصديق والمؤمن والمنتمي إلى ذات المنظومة العقدية والأخلاقية قال تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وقال عز من قائل ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وقال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم وغيرها الكثير من الآيات القرآنية الشريفة، التي تؤكد على العدل والصفح والحب، تنبذ كل أشكال القوة الخشنة التي تمارس بحق الآخرين مهما كانت درجة الاختلاف والتباين فأخلاق المسلمين مع بعضهم ومع خصومهم، هي من عناصر القوة الأساسية في التجربة الإسلامية التاريخية فالالتزام بمقتضيات الأخلاق الفاضلة في التعامل مع الآخرين، هو أحد عناصر القوة الأساسية، وليس عنصر ضعف ، يمكن أن يعاب عليه الإنسان ، فالإنسان يعاب عليه، حينما يتحول إلى وحش كاسر، يقتل ويفجر ويحرض عليهما لأن هذه الممارسات ليست لها صلة جوهرية بقيم الإسلام الخالدة، حتى لو تجلبب قائلها بالإسلام ان قوة المسلمين الهائلة، هي حينما يلتزمون بالقوة الناعمة للإسلام.

وعناصر القوة الناعمة في الإسلام، هي تشريعات خالدة ومطلوبة من الإنسان المسلم في كل الأحوال والظروف والدفاع عن الإسلام في ثوابته ومقدساته، لا يمكن أن يتم بممارسة السلوك النقيض لقيم الإسلام، بل بالالتزام بالإسلام قولاً وفعلاً فقتل الخصوم والمختلفين، ليس من الإسلام في شيء، وتفجير دور العبادة ليس من الإسلام في شيء، وبث الكراهية والبغضاء بين الناس، ليس من أخلاق الإسلام في شيء فتعالوا جميعا نعيد حساباتنا على هذا الصعيد فحق الإنسان الأصيل أن يدافع عن مقدساته وثوابته، ولكن بالوسيلة المشروعة، التي لا تأباها شريعة الإسلام وأخلاقه فالقوة الناعمة هي التي وسعت دائرة المنتمين إلى الإسلام تاريخياً فالملايين من المسلمين دخلوا الإسلام وتعرفوا عليه من خلال قيم الرحمة والرأفة والأخلاق الفاضلة وحسن الجوار وحرمة الدم والعرض والمال وبر الآخرين.

# الباب السادس
# مصر وإيران وإسرائيل والقوة الناعمة

من المهم عند التفكير في قوة مصر الناعمة أن نحاول تلمس الإطار النظري الذي من خلاله يمكن أن نفهم طبيعة القوة الناعمة للدولة المصرية في محيطها الاقليمي والدولي؛ لأن المشهد المصري يتسم عادة بالتعقيد الشديد نتيجة عاملين :

١-حجم الدولة ذاتها، وتعقد عملية صنع القرار، وتنوع مجالات التأثير٠

٢-التاريخ الطويل للدولة المصرية، فهي دولة ذات جذور ضاربة في التاريخ لقرون طويلة وليست كيانًا سياسيًا مستحدثًا٠

بما يجعل البحث عن أدوات للتحليل ومفاهيم تعين على التفسير مسألة في غاية الصعوبة ومضنية لأن النظام السياسي أهدر كثيراً من الفرص لممارسة القوة الناعمة بما يضني حقًا ويؤلم من يخرج من الإطار الزمني وينظر لتطور الدور المصري في محيطه وتراجع هذا الدور التاريخي

شهد مفهوم القوة الناعمة صعودًا بعد نهاية الحرب الباردة رغم أن ما يعبر عنه كان موجوداً قبلها وأثناءها، ويتجلى في استخدام أدوات الاقناع والاستمالة وليس الضغط والإكراه في إدارة العلاقات الدولية، كأدوات الدبلوماسية الشعبية وتوظيف الأبعاد الثقافية والتعليمية والإبداعية أو توظيف المعونات الاقتصادية والمنح الدراسية في إدارة العلاقات الخارجية، لكن للعلوم الاجتماعية دور في بلورة الظواهر بعد استقرارها وبصياغة مضمونها في مفاهيم، وصكها في مصطلحات تستوعب مجريات وتطور الظاهرة، وتخلق الدلالة للمفهوم الجديد بتحديد عناصر تعريفه، وهو ما قام به بامتياز جوزيف ناي حين أشار لهذا المفهوم والأدوات التي ينبغي أستخدامها.

## عناصر القوة الناعمة لمصر:

مصر دولة تملك مقومات القوة الناعمة،فهي تملك التاريخ كرصيد حضاري، وتملك الموقع والثقل الديمغرافي في قلب الأمة العربية، وتملك المؤسسة الدينية البارزة وهي الأزهر بما يمنحها مكانة إسلامية، وتملك الامتداد في قلب القارة الأفريقية ، وتملك العقول والسبق العلمي في المنطقة العربية والريادة الفكرية والثقافية، والتجربة الليبرالية الأقدم في العالم العربي ، ولا مجال هنا لسرد التاريخ المعروف لذلك لكن هذه الأرصدة تآكلت لعدة عوامل عبر العقود الماضية لأسباب تتعلق ببنية الاستبداد في ظل نظام حاكم لا يريد أن يتنازل عن مركزيته في إدارة العملية السياسية، غير مدرك المشكلة الكبرى أن ضرب مقومات القوى الناعمة في الداخل لفرض السيطرة والتحكم هو تبديد لفرص القوة الناعمة في الخارج، ومن هنا فإن التحول للاصلاح والديمقراطية، وتعزيز قوة المجتمع المدني ليست خيارا داخليا فحسب بل هي شرط القوة الإقليمية لمصر، وإذا أردنا التركيز على كل تلك العوامل فإن المساحة لن تتسع، لكننا سنتناول ثلاثة عناصر أساسية:

<u>التاريخ كرصيد حضاري:</u> يعد التاريخ رأس مال معنوي يمكن توظيفه كقوة ناعمة، والتاريخ الذي نقصده هو الامتداد والعمق الزمني ، فقد قامت مصر عبر تاريخها بأدوار متنوعة في محيطها الجغرافي، لكن الجغرافيا وحدها لا تكفل استمرار الدور التاريخي، كما أن مرور الزمن دون ممارسة فعلية متجددة الرؤية والأهداف لا يضمن استمرار ذلك الدور فى الدوائر المختلفة، الإقليمية العربية، والأفريقية ، والإسلامية، بل والدولية فقد اتخذ النظام في العقود الثلاثة الماضية منحى التركيز على الشأن الداخلي، وتم عزله عن محيطه العربي بعد كامب ديفيد، وعندما عادت العلاقات العربية-العربية لمسارها مرة أخرى

كانت هناك قوى جديدة تريد أن تلعب أدواراً على الساحة فلم يدرك صانع القرار المصري تلك المستجدات ويمكن أن نضرب مثالاً بالأبعاد العلمية والثقافية فقد كانت مصر لفترة طويلة المركز التعليمي والفكري والإعلامي في العالم العربي، تُوفِد المعلمين وأساتذة الجامعات لدول شمال أفريقيا ولدول الجزيرة العربية، بما حقق نفوذاً مصرياً في تلك الدائرة لعقود طويلة، لكن تنامي القوة العلمية والإعلامية لدول الخليج نتيجة توظيف بعض عوائد النفط في قطاعات التعليم والإعلام لتحقيق التحرر الكامل، ولتوظيف تلك القوة الناعمة في محيط دول مجلس التعاون، وتراجع ريادة التعليم المصري لتعثر سياسات التنمية، وتقديم مخصصات الأمن على مخصصات الرعاية ونوعية الحياة في تخطيط السياسات العامة، وتردي الأوضاع المهنية، وفقدان السبق في مجالات الإعلام والإنتاج الفني، وصعود دول مختلفة على الساحة العربية في مجال النشر والصحافة والفضائيات، كلها عوامل أدت لتراجع الدور المصري الذي صار يلاقي منافسة شديدة حتى في مجال مهرجانات السينما ورغم أن الطاقة البشرية المصرية ما زال لها الصدارة في تلك المنصات العربية المختلفة، إلا أنها لا يتم استثمارها باعتبارها قوة ناعمة مصرية؛ إذ يحتاج ذلك لخطة واضحة وإستراتيجية ثقافية تستفيد من المتاح وتحول المخاطر والتهديدات التي تلقاها القوة الناعمة المصرية إلى فرص وآفاق، لكن العقل المصري ما زال يعيش في تاريخه وليس في لحظته، مستكينًا لرصيد قديم لا يدرك أنه يفقده رغم أن أرصدة الآخرين تقوم على قوته البشرية في أحيان كثيرة وما يسري على الثقافة والصحافة والإعلام يسري على التعليم، فقد تطور التعليم الجامعي في الدول العربية، ولم يعد التعليم المصري جذاباً للغالبية العظمى من الشعوب العربية، والأجيال الجديدة الصاعدة التي ستشكل النخب المؤثرة في مجتمعها لم تتعرض لتأثير التعليم والثقافة المصرية نظراً للغزو الأجنبي في تلك المجالات، من غزو ثقافي لغزو تعليمي-مدرسي وجامعي

وبعثات الدراسات العليا للدول العربية لم تعد تتجه لمصر بل للدول الأجنبية أو لفروع الجامعات الأجنبية في دول الخليج وسيكون لهذا أثر بالغ على تآكل القوة الناعمة المصرية التي كانت ظاهرة في هذا الضمار وتاريخياً كانت قد حظيت مصر بمكانة متميزة بحكم كونها مركزًا للعلم الديني، ومثل الأزهر شعاعاً تعليمياً وفد له طلاب العلم عبر القرون، وحصلت مصر بذلك نفوذاً دينياً في أقطار العالم الاسلامي لكن نهضة الدولة الحديثة منذ عصر محمد علي فرضت قيوداً على هذا الدور؛ إذ توازى بناء الدولة مع محاولة تحجيم العلماء كنخبة اجتماعية لها دور سياسي لا ينكر، وبدأت الدولة تمارس سيطرتها التدريجية على موارد هذه المؤسسة التعليمية من خلال التحكم في استقلالها المالي والقانوني، وتم ذلك بالتدريج حتى وصل لذروته في الحقبة الناصرية، وكان ما جرى من خضوع وتبعية سياسية للأزهر في عصر السادات ومبارك تحصيل لما سبق، حيث يظل اختيار قيادات المؤسسة الدينية في يد رئيس الجمهورية، وتتبع الأوقاف موازنة الدولة، ولا يوجد سلطة للواقفين على ما أوقفوه من أموال ولا لورثتهم، وتم توجيه المؤسسة الدينية التي تسمى بالرسمية لخدمة أهداف الدولة، من تمجيد للاشتراكية تارة، وبيان توافق الإسلام مع الليبرالية تارة أخرى، وثار ما ثار حول فتاوى فوائد البنك، فضلاً عن توظيف الدولة المنابر للدعاية للنظام، وتجفيف منابع التدين غير الرسمي سواء أكان تنظيمياً أو دعوياً بزعم مكافحة الارهاب منذ اغتيال السادات، فضلاً عن إهمال التربية الدينية في المدارس، وجمود جهود تطوير الأزهر والتعليم الديني به التي ظلت كلاماً إعلامياً دون مضمون حقيقي، بل حرصت الدولة على تدجين الطرق الصوفية ونقابة الأشراف بما يضمن لها وحدها توجيه دفة الخطاب الديني وتجفيف منابع التدين المستقل ربما أثمر ذلك استقراراً أمنياً بالتوازي مع إحكام القبضة البوليسية للجهاز الأمني على المساجد والمعاهد الأزهرية وجامعة الأزهر وأنشطتها

لكن ما لم يلتفت له النظام هو أن تطوير وتجديد الخطاب الديني والتعليم الديني لا يتم بمراسيم سيادية ولا بقرارات بل هو حصيلة الحرية الفكرية ومناخ التعلم الحر الذي ساد الأزهر لقرون، ومن هنا عزوف الكثير من الدول الإسلامية عن إرسال طلابها للأزهر، والبحث عن أماكن بديلة خاصة في الدراسات العليا، بدءاً من كليات الدراسات الإسلامية الصاعدة في الشرق الإسلامي أو في الجامعات الغربية، وصولاً لتأسيس برامج وطنية للدراسات الإسلامية بهاجس أمني مقابل في الدول غير العربية من انتشار الفكر التكفيري والمعارض بين الأغلبية كما بين دول الأقليات المسلمة، وتنامي القلق من انتشار الفكر السلفي والوهابي ولم يقم الأزهر بتطوير مضمون المناهج ولا طرق التدريس بالوتيرة التي توافق وتنافس التحديات التي يواجهها والمنافسة من دوائر متنوعة صاعدة في مجال الدراسات الإسلامية، ونظرة على دوائر تعليم الوافدين في الأزهر كافية لبيان الحالة التي هو عليها الآن والتي كان ينبغي الاهتمام بها لأنها ذراع قوية للقوة الناعمة في الدائرة الإسلامية ونظراً لأن لعب الدور الناعم متروك للدعاة والمشايخ دون استثمار وتوجيه من قبل الدولة لهم أو وضع دورهم في إطار إستراتيجية عامة، ناهيك عن تردي وضع الدعاة الاقتصادي وتراجع مكانتهم الاجتماعية، فإن السياسة الخارجية المصرية فشلت في توظيف هذا الدور لدعم مكانة مصر في دوائر الكتل الإسلامية في المنظمات الدولية، ونافستها بقوة السعودية التي نجحت في الترويج لصورتها، وتوفير الموارد الكافية لإدارة قوتها الناعمة المرتبطة بالحرمين الشريفين في هذا المضمار ولن تسترد مصر تلك المكانة ولا تأثير تلك القوة دون تحرير الأزهر والمؤسسة الدينية من قبضة الحسابات الأمنية والسياسية، ودون دعم لاستقلال التفكير الديني والتجديد الحقيقي، وهو خيار سياسي فى الأساس ما زال النظام غير قادر على إدراك آثاره البعيدة، مكتفيا بالمكاسب المحدودة قصيرة الأجل المترتبة على تأميم الدولة للدين في دوائره الرسمية

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أن الفكر الديني وإنتاجه لا يقتصر على المؤسسة الرسمية؛ ففي مصر عقول إسلامية فذة لكن تظل المشكلة هى توجس النظام من فكرها وانعكاساته الحركية وبالتالي هو غير قادر على الوعي بأنها تشكل -بغض النظر عن موقفه السياسي-رصيداً للقوة الناعمة المصرية في المجال الإسلامي.

فقدت مصر الكثير من عناصر قوتها الناعمة على مدار العقود الماضية وكانت قد وصلت ذروتها فى الخمسينيات والستينيات من القرن الماضى، ثم بدأت فى التدهور مع هزيمة ١٩٦٧ خلال هذه الفترة، قامت مصر ببناء مكانتها وتأثيرها الإقليميين مستفيدة من تاريخها وحاضرها الثقافى بالمعنى الواسع للثقافة الذى يضم الفكر والفن والإعلام إلخ كما كانت لقوافل المعلمين والأساتذة والأطباء والمهندسين وغيرها من المهن دورها فى تعزيز المكانة الإقليمية لمصر وكان للقيم السياسية التى رفعها النظام المصرى فى ذلك الوقت المتمثلة فى مساندة تحرر الشعوب، والتخلص من التبعية والسعى لتحقيق التنمية المستقلة أثر فى اتساع النفوذ المصرى فى آسيا وأفريقيا خاصة وأن الرسائل كانت متسقة مع السياسات المتبعة مما أكسبها قدراً كبيراً من الصدق ومع هزيمة ١٩٦٧، اهتزت دعائم القوة الناعمة لمصر فمشروع التحرر الوطنى انقلب إلى دولة على درجة كبيرة من السلطوية وانتهى بهزيمة غير متوقعة، وبداية لانحصار الدور الخارجى لمصر.

واستمر الاستنزاف لمقومات القوة الناعمة المصرية فى العقود التالية وكان لارتماء مصر فى أحضان السياسة الأمريكية أثره فى فقدانها الكثير من الظهير الإقليمى الشعبى الذى سبق وتمتعت به ومن ناحية أخرى، فإن انخفاض جودة التعليم أدى إلى تدهور مستوى الخريج المصرى وقدرته على المنافسة أمام كوادر أخرى سواء أمام خريجى دول عربية أخرى كالشام والعراق ولجوء الكثير من الدول العربية إلى العمالة الآسيوية خلال العقدين الأخيرين، وبدأت مصر تفقد الريادة الإعلامية

أيضاً فقد أصبح الإعلام أكثر منافسة بعد دخول مرحلة القنوات الفضائية من ناحية، ومن ناحية أخرى تدهور صناعة السينما والمسرح فى مصر وليس أدل على ذلك من النجاح الساحق الذى حققته المسلسلات التركية فى العالم العربى والتى سحبت البساط من تحت نظيرتها المصرية فى السنوات الأخيرة ويعنى هذا أن مصر فقدت ميزة نسبية لها فى هذا النطاق تتمثل فى المجالات التى كانت فى السابق حكراً على مصر مثل صناعة الفن والإعلام بشكل عام.

إذا انتقلنا إلى مجال القيم السياسية التى يمكن أن تعبر عنها السياسة المصرية فى هذه المرحلة، سنجد أن الوضع لا يخلو من الصعوبة وكانت ثورة ٢٥ يناير فرصة ذهبية لمصر للبناء على نموذج ميدان التحرير وإعادة بناء القوة الناعمة لمصر وكان التحرير قد لاقى قبولاً وشهرة واسعة النطاق ظهرت فى محاولة استنساخ الميدان فى العواصم العالمية المختلفة من خلال حركة احتلوا وول ستريت ونظيرتها فى العواصم العالمية إلا أن هذه الفرصة لم يتم البناء عليها، فمن الناحية الشكلية، لم يعد التحرير المدينة الفاضلة التى تم تصويرها فى ثورة ٢٥ يناير حيث ترك الميدان فريسة للباعة الجائلين والبلطجية ما يقرب من سنتين حتى تغير الوجه الحضارى الذى مثله أثناء الثورة

إن أى محاولة لإعادة بناء مصر لقوتها الناعمة ينبغى أن تبدأ من إعادة ترتيب البيت من الداخل ويكفى فى هذا السياق الإشارة إلى أن ثورة ٢٥ يناير لم تحتج إلى من يسوقها عالمياً، بل كان التماسك الداخلى أقوى من تأثير مئات الوفود وكانت القيم السياسية والرسائل التى تبثها مصر للعالم واضحة لا لبس فيها: عيش حرية عدالة اجتماعية كرامة إنسانية كما تدفع مصر الآن ثمن إهدار قوتها الناعمة، وأزمتها مع دول حوض النيل من ناحية وإدارة موقفها من غزة من ناحية أخرى

والقوة الناعمة في حالة الدول المركزية مثل مصر لا تنفصل عن القوة الصلبة؛ فهي تنبني عليها في كثير من الأحيان، ومن هنا فإن تراجع القوة الصلبة خاصة التاريخي منها كتوازن القوة العسكرية يؤدي لفقدان القوة الناعمة لمقوماتها الأساسية ووقوفها في فراغ وبالتالي فإن القدرة على الردع تمنح للقوة الناعمة مساحة للحركة، فتكون خياراً موَظفًا لدعم قوة الدولة وليست محاولة عاجزة يائسة لملء فراغ القوة صحيح أن هناك دولاً توظف القوة الناعمة دون أن تملك قوة صلبة بالمعنى التقليدي خاصة العسكري، لكن يخطيء من يظن أن هناك قوة ناعمة بدون أي نوع من القوة الصلبة، فحتى حالة القوة الإعلامية لدول الخليج كما في مثال قناة الجزيرة ذاتها كقوة ناعمة توظفها دولة قطر في كسب دور متنامٍ على الساحة العربية، حتى هذه تستند لقوة صلبة هي القوة الاقتصادية الغاز والنفط التي مكنتها من بناء صرح إعلامي ينافس دوليًا، وهي القوة الصلبة ذاتها التي مكنتها من الاستفادة من القوة العسكرية الصلبة لدولة أخرى -هي الولايات المتحدة- بالسماح بوجود قاعدة عسكرية للأخيرة توفر لقطر الحماية في ظل وضع إقليمي متوتر بغض النظر عن تقويم ذلك الخيار من منظور الأمن القومي العربي.

أن إدارة القوة الناعمة ليست مهمة سهلة، فهي أقرب للثروة القابلة للتناقص، وإهدار الفرص وسوء الإدراة قد تهددان رصيد القوة الناعمة بالتآكل، وهو ما لا يدركه صانع القرار حين يفاخر بالتاريخ ولا يصنع من ذلك الماضي -عبر مواصلة استخدام الموارد المعنوية- رصيداً متجدداً للمستقبل هذا ما فعله النظام المصري في رصيده التاريخي من القوة الصلبة في حالتين واضحتين

١-في موقفه حيال القضية الفلسطينية لم مدرك أن القوة الناعمة لن تستمر إذا لم يحافظ على هذا الرصيد، الذي أهدره منذ أن عقد معاهدة السلام مع إسرائيل، رغم أن المعاهدة في ذاتها لم تكن لتهدد الرصيد لأسباب كان يمكن تفهمها تكتيكياً، لكن ما أهدره هو انسحاب مصر من دورها الإقليمي تباعاً ثم بشكل حازم مؤخراً رغم استمرار التصريحات الإعلامية بعكس ذلك، وتراجع دورها الفعال في نصرة قضايا الشعب الفلسطيني، وهو ما تبين بشكل متراكم وصولاً للذروة في حرب غزة ، وأيضاً في التصعيد مع حماس، وحرصه على الكشف عن قضية حزب الله الذي كان يمكن أن يتم في سياق مختلف للدور الإقليمي المصري بأن يتم تناولها على المستوى المخابراتي وليس بشكل سياسي تصعيدي من إعلان ومحاكمة، وهو ما جعل أطرافاً أخرى تدخل على خط الوساطة بين الفصائل الفلسطينية، وزاد من قوة العلاقة بين حماس وحزب الله، ورفع من أسهم الدور السوري الذي تراجع في بعض اللحظات التاريخية، بل وسمح لإيران بممارسة بعض النفوذ الناعم أو الصلب أحياناً عبر العقود الماضية فضلاً عن بروز الدور التركي الصاعد.

التراوح غير الحكيم بين الصلابة والنعومة، وسوء التوقيت، وعدم التوفيق في اختيار رد الفعل الملائم للموقف في التعامل مع غزة خاصة بعد فوز حماس، وعدم القدرة على التمييز السياسي المحنك بين الخلاف الأيديولوجي مع إسلام حماس والدور المصري المرتبط بأمن مصر القومي أفسد صورة النظام المصري؛ فبدت سياسته صلبة حين وجبت النعومة وناعمة حين وجبت الشدة، خاصة في التعامل مع القصف والاعتداءات الصهيونية المتكررة على شريط الحدود في رفح من جهة فلسطين، وتحليق الطيران الإسرائيلي حرًا فوق الأراضي الفلسطينية، والقصف المتكرر شبه اليومي الذي صار يمر مروراً عابراً لا يلفت النظر

بل لا يغطيه الإعلام المصري أحياناً، فقط تحمله رواية الشهود القادمين من غزة والمعلقين طويلاً على المعبر على الحدود المصرية وظهر هذا أيضاً جلياً في غياب مصر بل تعنتها تجاه الحضور المدني الإنساني الدولي في مشهد الإغاثة لدعم غزة من ضرب المتظاهرين الأجانب في حملة الحرية مروراً بتراخي الإدانة لاقتحام سفينة الحرية وقتل النشطاء المدنيين، بل وجدنا ذلك سابقاً في الموقف من حرب ٢٠٠٦ بين حزب الله والعدو الصهيوني، وهو مجال الإغاثة كمجال من أهم مجالات القوة الناعمة.

٢-الأزمة الثانية التي تجلَّى فيها تآكل القوة الناعمة لمصر هي أزمة توزيع مياه حوض النيل وحصة مصر منها؛ حيث اكتشف النظام أن دول حوض النيل قادرة على التفاهم بينها وتوقيع اتفاقيات برغم اعتراض مصر، وظن أن بعض الزيارات الدبلوماسية المتبادلة ستنقذ ما أهدرته عقود طويلة من تبديد رأس مال مصر من القوة الناعمة مع دول حوض النيل خاصة والدول الأفريقية بشكل عام عبر القرون، خاصة في القرنين الماضيين، سواء بالتعاون الاقتصادي والسياسي المباشر في القرن التاسع عشر الذي انطلق من اعتبار السودان مجالاً حيوياً لمصر، واستمرار ذلك رغم الاحتلال البريطاني عبر تواصل القوى السياسية، أو بعد الاستقلال حيث كان لعبد الناصر فلسفته واعتبر أفريقيا إحد الدوائر المركزية لمصر، وطور علاقاته الدبلوماسية ومكانته الأفريقية بقوة، وكان من أدواته ووسائله في ذلك: الوزارات المصرية، والدبلوماسية المصرية،وشركة النصر للتصدير والاستيراد في أفريقيا جنوب الصحراء كما كان من مظاهر ذلك أيضاً استقبال الدارسين الأفارقة في الجامعات المصرية بمصروفات رمزية، ودعم الجمعيات العلمية كالجمعية العلمية الأفريقية ، وتحفيز الدراسات الأفريقية من خلال دعم معهد الدراسات الأفريقية.

لكن جاء بعد ذلك السادات بسياسة مختلفة توجهت لصداقة الولايات المتحدة الأمريكية والغرب والصلح مع إسرائيل؛ فقطعت الدول العربية علاقاتها مع مصر وابتعدت الدول الإسلامية، فتجاهلت الدول الأفريقية مصر وتجاهلتها مصر، وانكفأت مصر على نفسها في السبعينيات بزعم بناء الاقتصاد الحر، وبناء التجربة الديمقراطية التي آلت في نهاية عصر السادات لنهاية مؤلمة باعتقال كافة أطياف المعارضة، ثم جاء مبارك بسياسة ثالثة مخالفة كل الاختلاف تتبنى مبدأ عدم تخطي حدود مصر ولا مجال أبداً للصدامات مهما تكن نتائجها إيجابية أو سلبية وأصبح الحضور المصري في الدوائر الأفريقية رمزياً ، وحدث الفراغ في قيادة القارة الذي ملأته فوراً دولة جنوب أفريقيا بعد سقوط نظام الفصل العنصري، ومن يشهد المؤتمرات الدولية سيرى على الفور إلى أين يتجه الدبلوماسي المصري الذي يحرص على التواصل مع نظرائه من الدول الغربية، وإلى أين يقصد الدبلوماسي الأفريقي الذي يحرص على التعرف والتواصل مع نظرائه من القارة الأفريقية ، وقد يكون من اللافت أن الدولة التي حرصت على بناء سياسة خارجية مع الدول الأفريقية بشكل متواصل وقوي هي ليبيا ولقد كان لمصر رصيد في دعم قوى التحرر في مرحلة التحرر في كثير من الدول الأفريقية ، لكن هذا الرصيد تبدد، والجهد الذي بذلته مصر في شجب تحرك دول المنبع بدعوى الحق التاريخي في مياه النيل كان الأولى أن يتجه لمراجعة أسباب تقصير الدبلوماسية المصرية عبر عقود في البناء على إرث تاريخي قوي للدور المصري في افريقيا، وكيفية تخصيص اهتمام أعمق وموارد أكبر لادراك ما فات وفي النهاية يظل خيار القوة الناعمة خياراً صعباً ومركباً على عكس ما قد يظن البعض؛ فالقوة الناعمة ترتكز على قوة مدنية تشترط قدر من الحرية والديمقراطية والمشاركة في صنع القرار الإستراتيجي.

وتستند لخيارات في تخصيص الموارد بما يحفظ للقطاعات المختلفة في الدولة قوة تستطيع أن تستثمر بعضها في المجال الخارجي-الإقليمي والدولي، وتشترط حنكة سياسية تميز بين الخصومة السياسية والإمكانية والمكانة الوطنية للخصوم، وكلها عناصر فقدتها مصر عبر العقود وتحتاج لأن تعيد ترتيب أوراقها وتشحذ همتها من أجل استعادة ما تم إهداره واسترداد ما تم تبديده.

**قوة إيران الناعمة في العالم الاسلامي:**

يعتقد جوزيف ناي أن الرئيس محمود أحمدي نجاد بسط قوة إيران الناعمة في العالم الاسلامي بسبب مواقفه ضد الكيان الصهيوني وأن المواقف التي اعتمدها الرئيس أحمدي نجاد ازاء كيان الاحتلال الصهيوني وانتقاداته الشديدة له تعتبر من أهم العوامل التي أدت الي بسط قوة ايران الناعمة لدي العالم الاسلامي.

ولدي إجابته علي سؤال عن تقييمه لإستخدام أمريكا القوة الناعمة ضد الجمهورية الاسلامية الايرانية قال ان أي شخص أو حكومة بإمكانها استخدام هذه القوة حتي ايران بإعتبارها زعيمه الشيعة تبذل جهودها لإستقطاب الآخرين من خلال القوة الناعمة وأمريكا لأنها زعيم الديمقراطية تستخدم هذه القوة لكسب الآخرين ودور القوة الناعمة يكمن مثلاً في أن أحداً يصبح ناصراً لإيران بسبب ثورتها الاسلامية وهذا لايعني أن ذلك الشخص أصبح من المعجبين بإيران من خلال رسالة معينة وهذا الأمر يمكن أن يحدث لأمريكا بسبب ديمقراطيتها.

وايران التي أصبحت رمزا للتحرر ونشر القيم والمباديء التي تؤمن بها باتت تواجه الاحترام من البقية لذا فإن قوتها الناعمة تزداد فى الدول الاسلامية بسبب انتقادها أمريكا لإحتلال العراق بين المسلمين وهو ما نشاهده لدي الشعب العراقي حالياً.

## القوة الناعمة الإيرانية في الميزان الجيوبوليتيكي:

يشير عدد من الباحثين الإيرانيين إلى ان إيران بعيدة حتى الآن عن ان تكون قوتها الناعمة ذات تأثير كبير؛ إذ يؤكد الباحث الإيراني ونائب مدير معهد طهران للأبحاث والدراسات الدولية على الاعتراف بأن الطريق لايزال طويلاً لإعادة السجادة الإيرانية إلى سابق عهدها التاريخي، وإلى جعل صنع في إيران مصدر ثقة، وإلى جعل الناس تشاهد الأفلام الإيرانية أو تشتري الفن الإيراني وإيران لا تستخدم قدرات البلاد في القوة الناعمة بشكل صحيح، ولو تم توظيفها في السياسة الخارجية والدبلوماسية لكان تأثيرها أعمق وأكبر في النظام الإقليمي والدولي.

وفي إطار تقييم مدى نجاح الحكومة الإيرانية في تطبيق الإستراتيجية العشرينية ٢٠٢٥، التي من المفترض أن تولّد قوة ناعمة هائلة لإيران، قام الباحث الإيراني جهانجر أموزجار بدراسة لنتائج الخطة الخمسية الرابعة التي انتهت عام ٢٠١٠ لتقييم مسار الحكومة وبالتالي المسار نحو ٢٠٢٥، وكانت نتيجة التقييم كما قال: تراجع من سيء إلى أسوأ والحقيقة أن القوة الناعمة الإيرانية كانت قد وصلت ذروتها في العالم العربي بحلول عام ٢٠٠٦، وبقيت صامدة حتى عام ٢٠٠٨ حيث بدأت تتراجع بشكل سريع إلى أن تدهورت مع اندلاع الثورات العربية نهاية عام ٢٠١٠/بداية ٢٠١١، ثم تعمقت مع اندلاع الثورة السورية واستمرارها ويمكن لعدد من استطلاعات الرأي أن يكون مؤشراً يدعم هذه الحقائق لعل أهمها استطلاع زغبي الذي أُجرِي عام ٢٠١١ .

إذا ما تم الأخذ بعين الاعتبار أن مصاعب جمة تعترض طريق قياس القوة الصلبة لأي بلد التي من المفترض أنها قابلة للقياس أصلاً نظرًا للمعطيات الكمية المرتبطة بها، فإن قياس القوة الناعمة لدولة ما يصبح مستحيلاً، ناهيك عن أن الأخيرة لا تستند إلى معيار كمي في العادة حتى يمكن قياسه

وعلى الرغم من ذلك يذهب البعض إلى محاولة خلق مؤشرات يمكن الاعتماد عليها في قياس القوة الناعمة لبلد ما، فيما يذهب البعض الآخر إلى القول بأن استطلاعات الرأي قد تكون مؤشراً جيداً فى حد ذاته يعبّر عن مدى تأثير القوة الناعمة لدولة ما من عدمها رغم افتقاره أيضاً إلى قياس كمي.

ولا يعني ذلك أن إيران لا تمتلك قوة ناعمة بشكل مطلق، فقد سبق وشرحنا مصادر وأدوات قوتها الناعمة، لكن ذلك يعني بالتأكيد أن إيران فشلت في أن تضع نفسها في أي تصنيف للقوة الناعمة على الإطلاق ولعل السبب في ذلك يعود إلى أنه وعلى الرغم من تمتع إيران -كما رأينا- بمصادر متعددة لإنتاج القوة الناعمة، وعلى الرغم من توجيه هذه القوة الناعمة من خلال أدوات، عمل النظام الإيراني على تفعليها بما يخدم الأجندة الوطنية العليا للبلاد على الصعيد المحلي والإقليمي والدولي، إلا أن مدى تأثير هذه القوة الناعمة الإيرانية في الإطار الجيوبوليتيكي يبقى محدوداً لعدة معطيات، لعل أبرزها:

من الناحية الاقتصادية : فشلت إيران في تقديم نموذج اقتصادي يكون مصدراً للقوة الناعمة فلا هي قدمت نموذجاً اقتصادياً كما فعلت الصين، ولا هي قدمت قصة نجاح اقتصادي كما فعلت تركيا، واعتمدت على المال السهل كدولة ريعية لاستخدامه كأداة مولدة للقوة الناعمة وفي هذا الإطار، يشير الباحث الإيراني شهرام شوبين إلى أن النموذج الاقتصادي الإيراني هو نموذج فاشل بامتياز حتى مقارنة مع جيران إيران الصغار في الجنوب الذين انتقل إليهم عدد لا يُستهان به من رجال الأعمال الإيرانيين فقد فشلت إيران في تنويع اقتصادها أو في الاستثمار في البنية التحتية المرتبطة بالطاقة وأدى تراكم الفساد وسوء إدارة الاقتصاد وتعويم الحكومة للعمه إلى فشل ذريع ودعم هذا التقييم نتائج التحليل الاقتصادي الذي قام به الباحث جهانجر أموزجار خلال السنوات من ٢٠٠٥ وحتى ٢٠١٠ للأداء الاقتصادي لإيران مقارنة بالخطة الإستراتيجية الخمسية الرابعة.

من الناحية السياسية : فشلت إيران أيضاً في بناء نموذج سياسي جاذب يعمل على توليد القوة الناعمة، ولم يجد أي نوع من أنواع التعاطف على عكس الحال عند حدوثل الثورة الإيرانية ١٩٧٩، ولم يستطع أن يروج لإيجابياته كتركيا مثلاً، بل إن الفجوة بين النظام الثوري والمجتمع ما بعد الثورة بدأت تتسع وانعكس ذلك بشكل سلبي على صورة النظام حتى العراق الذي كان يفترض كثيرون أنه سيتأثر بالتجربة الإيرانية، لم يختر نظامًا سياسيًا مشابهًا على الإطلاق ويعتبر البعض أن الديمقراطية الإيرانية هي ديمقراطية شكلية واقعها ثيوقراطي ومضمونها ديكتاتوري على اعتبار أن المرشد الأعلى يمتلك صلاحيات تفوق تلك التي تمتلكها أي سلطة في العالم وهو يستند إلى شرعية دينية وسياسية معًا، ويجمع إلى سلطاته صلاحيات أخرى كثيرة كما جاء في المادة ١١٠ من الدستور، ويسيطر على كل المجالس في البلاد، بعضها تابع له والبعض الآخر خاضع لنفوذه كما يعاني النظام من مشاكل هائلة في الحريات والوضوح، فأقلية مثل الأقلية السنية التي تشكّل ما بين ١٩إلى ٢٠%على الأقل من سكان إيران لا يحق لها الوصول إلى أي منصب تنفيذي رفيع وعملياً تم حرمان ما بين ٧ إلى ١٤ مليون مواطن إيراني على الأقل بشكل أوتوماتيكي وبموجب الدستور من تولي الرئاسة أو أركان الجيش أو القضاء ناهيك عن المناصب الأخرى كما بيّنت الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٩ أن النظام يعاني مشاكل هيكلية متجذرة؛ فقد أضرت هذه الانتخابات بصورة النظام الإيراني بشكل خطير في المنطقة والعالم.

من الناحية الثقافية : لا يُعد العنصر الثقافي الفارسي سواء المتعلق باللغة أو الحضارة عامل جذب أو تأثير واسع بالمعنى العام المطلق؛ إذ أن تأثيره محدود ومرتبط بشكل مباشر بمنطقة آسيا الوسطى لكن حقيقة أن معظم شعوب هذه المنطقة هم من القومية التركية، فإن هذا يحد بطبيعة الحال من النفوذ الإيراني.

من الناحية المذهبية:تبقى حقيقة أن إيران تتبع المذهب الشيعي ومزجه مع القومية الفارسية وتحديداً مبدأ ولاية الفقيه، عاملاً معرقلاً لهدفها في قيادة المنطقة أو توليد قوة ناعمة كافية تخولها القيام بتحقيق هذا الهدف دون الاعتماد على قوة صلبة بل ان هذا العنصر قد يلعب في كثير من الأحيان دوراً سلبياً في تعميق عزلة إيران الإقليمية خاصة عندما تعمد إيران إلى الاعتماد على العامل الطائفي لحشد الأقليات الشيعية في المنطقة.

**أدوات القوة الناعمة الإيرانية:**

ويُقصد بها القنوات التي يتم من خلالها وعبرها ممارسة وتوجيه القوة الناعمة للبلاد، على اعتبار أن أية قوة ناعمة إنما تحتاج إلى تحديد اتجاه المنطقة أو الجهة المستهدفة في سياق منظم بما يخدم الأهداف القومية العليا.

وقد حاول النظام الإيراني عام ٢٠٠٥، استغلال كل مصادر القوة الناعمة وأدواتها التي تتمتع بها إيران ضمن إستراتيجية واحدة تتضمن سياسة واضحة لتوظيفها في إستراتيجية وطنية كبرى للبلاد لتكون أكثر تأثيراً في خدمة المصالح الإيرانية القومية والسياسة الخارجية للبلاد وقد وضع النظام وثيقة تُعرف باسم الإستراتيجية الإيرانية العشرينية ٢٠٠٥-٢٠٢٥، وتُعتبر أهم وثيقة قومية وطنية بعد الدستور الإيراني، تضع تصورات مستقبل الدور الإيراني خلال عشرين عاماً، وتهدف إلى تحويل البلاد إلى نواة مركزية لهيمنة داخلية متعدد في منطقة جنوب غرب آسيا أي المنطقة العربية تحديداً لتشمل شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وسيناء.

الأدوات الثقافية :تمتلك إيران ترسانة هائلة من الأدوات التي تساعدها على توجيه مصادر القوة الناعمة الثقافية للبلاد في الاتجاه المراد الذي يحقق في نهاية المطاف مصالح البلاد العليا وأهدافها الإستراتيجية

وتتوزع هذه الأدوات على مستويات متعددة من المواضيع داخل البناء الثقافي، ومنها -:الثقافة الإيرانية الفارسية ومن الأدوات الدينية التشيع الإيراني ومبدأ الولي الفقيه.

موازنة بعض الأنشطة الدينية والثقافية العلنية لعام ٢٠٠٨.
- مصاريف لبرامج بروبغندا ثقافية ودينية ٢٠٠٨ .

-المؤسسات الإيرانية المنوط بها الترويج للنسخة الإيرانية من التشيع في العالم.

-الأدوات الإعلامية حيث تمتلك إيران إمبراطورية إعلامية هي الأكبر على مستوى المنطقة .

-الدعم المالي لبعض المنظمات المتخصصة ببرامج دعاية ثقافية ودينية إيرانية. وتستخدم إيران القضايا في السياسة الخارجية لتوجيه قوتها الناعمة وبالتالي توسيع قاعدة نفوذها وتأثيرها على الصعيد الإقليمي، ومن بين هذه الأدوات -:التشيع السياسي - الخطاب الثوري المعادي لأمريكا والغرب - القضية الفلسطينية.

**إسرائيل والقوة الناعمة:**

بالنسبة لإسرائيل، فإنها في الوقت الذي تستعد فيه أمنياً وعسكرياً من أجل محاولة صد أي تهديد عسكري محتمل من قبل جيرانها، بل والعدوان في أي وقت على الدول العربية، تحاول أن تبادر وتغزو عقول الشباب العرب والمسلمين المهتمين بالشأن الفلسطيني، وذلك بغية القيام بعملية غسيل دماغ تدريجية، من خلال قلب الحقائق، وتبييض صورة إسرائيل العنصرية في نهاية المطاف، عبر استخدام قوتين متوازيتين في آن واحد، وهما القوة العسكرية والقوة الناعمة.

وتستخدم إسرائيل القوة الناعمة للترويج لها،عبر استخدام ماكينتها الإعلامية الموجهة، واستغلال الإعلام الأمريكي والأوروبي الرسمي الذي يعتبر إسرائيل واحة للديمقراطية في منطقة العالم العربى ، رغم عنصريتها الآخذة فى التفاقم والانكشاف ويتم ذلك من خلال الترويج لهما وفي الوقت الذي ساعد فيه الغرب، خاصة بريطانيا وفرنسا، وتاليا الولايات المتحدة الأمريكية على بناء جيش إسرائيلي قوي، استطاعت إسرائيل خلال العقود الماضية ١٩٤٨-٢٠١٣ من خلال قوتها الناعمة المدروسة بناء علاقات مع غالبية دول العالم، حيث تؤكد وزارة الخارجية الإسرائيلية أن إسرائيل - التي أصبحت عضوا في الأمم المتحدة عام ١٩٤٩- باتت تقيم علاقات مع معظم دول العالم كما حرصت منذ تأسيسها على إشراك المجتمع الدولي في تجربتها في مجال التطوير، وبناء على ذلك تم عام ١٩٥٨ تأسيس المركز الدولي للتعاون، وهو قسم يعمل داخل وزارة الخارجية، ويكلف بتخطيط مشروع التعاون الدولي الإسرائيلي وتنفيذه وثمة مؤشرات على نجاح استثمار إسرائيل للقوة الناعمة، ومن بين تلك المؤشرات شبكة العلاقات التجارية والسياسية الواسعة بين إسرائيل، وأوروبا،وأمريكا، ومع القارة الأفريقية ، وآسياولهذا نجحت في تبوء مكانة مهمة في إطار العلاقات الدولية السائدة، وساعدت الإدارات الأمريكية المتعاقبة على تهيئة الظروف لبناء علاقات إسرائيلية تجارية وسياسية وثقافية مع دول مختلفة في العالم، خصوصاً بعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار جدار برلين، وسقوط القطب الآخر وقد ساعد على ذلك غياب التكامل العربي في إدارة التعامل وبناء العلاقات مع الدول المختلفة في العالم في إطار العلاقات الدولية لتحقيق المصالح العربية العليا.

**المثقفون في إسرائيل والقوة الناعمة:**

جرت العادة، في كل مرة تشن إسرائيل خلالها حرباً على الفلسطينيين أو على العرب، أن يعلن الأدباء العبريون موقفًا منها، باعتبارهم حراس شرف الكلمة في عُرف العقل الإسرائيلي العام وتتجه أنظار الرأي العام في العقود الأخيرة، على وجه التخصيص، إلى ما بات يعرف بالترويكا الأدبية الإسرائيلية والمؤلفة من أبرز ثلاثة كتاب، هم عاموس عوز وأ. ب. يهوشواع ودافيد جروسمان .

هناك وحدة في رؤية الهدف المرغوب إسرائيلياً واختلاف لكنه يبقى شكلياً، لا يمس الجذور الحقيقية للموقف الإسرائيلي التقليدي إزاء الإنسان الفلسطيني .

أن هؤلاء الأدباء أيدوا، في معظمهم، تلك الحرب فور الإعلان عن شنها، بحجة عامة فحواها أنها حرب عادلة ومبررة تتخذ من شعار الدفاع عن النفس المألوف ذريعة لها، باعتبار ذلك حقًا لا بُدّ أن تحظى إسرائيل به، على غرار سائر الدول في العالم، في إثر تعرضها لإطلاق الصواريخ والقذائف من قطاع غزة على بلداتها الجنوبية غير أن تأييد الحرب وإبداء الحماسة لها لم يعمّرا طويلاً، فسرعان ما انطلقت دعوات من أجل إيقافها وعلى الرغم من ذلك فإن مبررات تلك الدعوات لم تستند إلى مبادئ القيم الإنسانية عالمية عامة، وإنما نهلت من نبع أفكار عكرة ومن المسلمات الصهيونية الراسخة وقد وقفت في صلب هذه الأفكار، مثلاً، فكرة تلقين الفلسطينيين درساً، وفكرة أخرى فحواها حتمية استعمال القوة، وفكرة ثالثة مؤداها أن العرب على وجه العموم لا يفهمون إلا لغة القوة .

إن الصورة العامة، التي ترتسم للأدباء الإسرائيليين في العالم، هي أنهم كتيبة أمامية في ما يسمى بمعسكر أنصار السلام وفي كل مكان من العالم يعارض أنصار السلام استعمال القوة، بصورة مبدئية حازمة لا تقبل التأويل أو المساومة أمّا في إسرائيل فقد بات استعمال القوة ضد الفلسطينيين والعرب أمراً حتمياً حتى لدى أنصار السلام، بمن فيهم الأدباء وقد أبانت الحرب على غزة، وعلى لبنان ثم على غزة عام ٢٠١٤ أن الإسرائيليين في غالبيتهم أصبحوا أسرى إجماع قومي جديد مفاده أنه لا بُدّ أن يذوق الفلسطينيون بأس القبضة الإسرائيلية الحديدية، أولاً ودائماً لكن يبقى هناك فارق طفيف هو أن المعتدلين من بينهم ( فيما يظهرون للآخر ) يؤمنون بوجوب أن يترافق ذلك مع شعارات آسرة من قبيل دولتين للشعبين والتطلع إلى السلام وترجيح المفاوضات السلمية، في حين أن المتطرفين من بينهم، أي مناهضي السلام، يؤمنون أن هذه الشعارات من شأنها أن توهن إسرائيل، وأنها مشعوذة، لذا يمتنعون من إطلاقها بالشكل الأعمى أو غير المحسوب الذي يطلقه المعتدلون .

**عائد القوة الناعمة الإسرائيلية :**

تستهدف الأنشطة الاسرائيلية تعزيز القدرات المهنية من خلال الدمج بين البعدين النظري والعملي، والدمج بين البحث العلمي وتطبيق المشروع على أرض الواقع، وتكييف تكنولوجيات جديدة لتلبية أولويات التطوير في الدول المستضيفة، عبر التعاون مع وزارات مختلفة ومعاهد مهنية وأكاديمية ومراكز بحث في إسرائيل ويعمل المركز الدولي للتعاون بالاشتراك مع دول نامية ودول يمر اقتصادها حالياً بفترة انتقالية نحو مواجهة تحديات التنمية في كافة المجالات ولتعزيز مكانتها في إطار علاقاتها الدولية، أعطت إسرائيل أولوية لإنشاء مراكز البحث، وتطوير القائم منها.

ويحاول الكيان الصهيونى امتلاك جيش قوي ناهيك عن الاعتماد على خيار نووي،عبر امتلاك نحو مائتي قنبلة نووية وترى إسرائيل أن قوتها العسكرية المتطورة وامتلاك الخيار النووي ضمانان قويان لأمنها من جهة، ولاستمرار نفوذها في إطار العلاقات الدولية من جهة أخرى، خصوصا أن قضية الأمن تعتبر القضية الأهم في إطار الإستراتيجية الإسرائيلية، وأن بناء شبكة علاقات إسرائيلية دولية بالاعتماد على القوة الناعمة يجب أن يخدم تلك القضية ويحققها.

**القوة الناعمة العربية:**

على الرغم من نجاح الشباب العرب في استخدام القوة الناعمة عبر وسائل التواصل الاجتماعي الفيسبوك، واليوتيوب، وتويتر، للتجمع في ميادين التحرير والتغيير العربية منذ ثلاث سنوات، والمطالبة بالحرية ورحيل النظم الدكتاتورية العربية، فإننا أمام حالة تشرذم رهيبة في مجال استخدام العرب القوة الناعمة لخدمة الأهداف الإستراتيجية العليا التي تتمثل في جعل الوطن العربي له وزن في إطار العلاقات الدولية المتشعبة لذا يجب على الإعلام العربي استثمار أدوات التواصل الاجتماعي من أجل مستقبل عربي مشرق لكل أبنائه، وفضح سياسات إسرائيل العنصرية إزاء العرب في الأراضي الفلسطينية المحتلة، في ظل انكشاف صورتها عند الكثير من شعوب الأرض عندئذ يمكن القول إن العرب سيتبوءون مكانة مهمة في إطار العلاقات الدولية بسبب استخدامهم قوتهم الناعمة الكامنة، وفي مقدمتها وسائل التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام المختلفة، والوطن العربي غني بثرواته، ويزخر بطاقات بشرية واعدة.

## تركيا والقوة الناعمة تجاه العالم العربى:

بعد تولي حزب العدالة والتنمية الحكم في تركيا قام بتطبيق إستراتيجيَّة تركية جديدة رسم خطوطَها العريضة وزيرُ خارجيتها مُحَمَّد داود أوغلو، حيث قام بوضع نظرية تُسَمَّى العُمق الإستراتيجي، وتتلخَّص مبادئها في: الحرصِ على مُحَاولة حل الخلافات سلميًا مع دولِ الجوار؛ لما لذلك من انعكاسات إيجابيَّة على الأمنِ الداخلي، التزام تركيا بسياسة السلام الاستباقية من أجلِ عدم تحوُّل الخلافات الإقليميَّة إلى صراعات مُزْمِنة، والتأكيد عل أنَّ تركيا دولةٌ مركزية لها وجودها الجيو سياسي في أكثر من منطقة في الشرق الأوسط، ولذا لا بد لها من المُشَاركة بفاعلية في مُجمل الملفات عبر الحوارِ السياسي، تحقيق درجة عالية من الاقتصاد المُتَبَادل مع دول الجوار، هذه الأهداف وغيرها ترتكز على ما سماه القوة الناعمة في السياسة الخارجية، وتعني علمانية أقل تشددًا في الداخل، ودبلوماسيةً ديناميكيةً في الخارج، وتحديدًا في المجال الحيوي لتركيا.

ويُمْكِننا القول بأنَّه منذ وصول حزب العدالة والتنمية إلى سدةِ الحكم اتَّبعت تركيا في إستراتيجياتها سياسةَ القوةِ الناعمة والتمدُّد شرقًا وجنوبًا، وتمكَّنت من إبرام اتفاقيَّات ثُنَائية مع العديدِ من الدول العربيَّة، ومن تعزيز التعاون السياسي والاقتصادي، خصوصاً مع سوريا ولبنان والعراق ودول الخليج ومصر.

ويرى المُحَلِّلون أنَّ من بين أفضل ما قدَّمه النموذجُ التركي للعالم استخدام قوته الناعمة على مُستوى الدبلوماسيَّة والتواصُل مع الشعوب العربية، فعلى المستوى الدبلوماسي نرى تركيا تستخدم تعبيرًا لافتًا هو العلاقات الصافية أي العلاقات القائمة على تصفية المشاكل مع الجيران، ورغم أنَّ الجيش التركي يُعَدُّ من أقوى جيوش المنطقة؛ فإنَّ ساسته يستبعدون الإشارة إلى القوة العسكرية كإحدى أدوات نموذجهم.

وعلى مستوى العلاقات مع الشعوب فإنَّ المدارس التركية تُقَدِّم نموذجًا فريدًا في جودةِ التعليم، كما تستخدم الدراما التركية كإحدى الأدوات التي تُسَوِّق لذلك النموذج.

وحزب العدالة والتنمية من خلال تجربته السياسيَّة الراهنة، هو من أنجح الأطراف التركية التي وظَّفت القوة الناعمة لتركيا في تسويق مشروعاتها وخياراتها السياسية والاقتصادية.

وفي الحقيقةِ يُعَدُّ نجاح التجربة التركية من أهم مصادر القوة الناعمة ، فهو عنصرٌ جذّابٌ يدفع الآخرين إلى اكتشاف معالم التجربة التي دفعت هذه الجهة أو تلك إلى الارتقاء بهذه السرعة وتجاوز كل العقبات وتحقيق أهدافها،وأبرز معالم هذا النموذج، هي:

١-على الصعيد السياسي : تعزيز قيم الحرية والعدالة والشفافية والنزاهة والاستقامة وحكم المُؤَسَّسات والقانون والاحتكام إلى الشعب وصناديق الاقتراع والاستناد إلى برنامج سياسي مُتَكَامل هدفه أولاً وأخيرًا خدمة الناس والنهوض بالدولة بدون تسرُّع في التنفيذ وببعد نظر ونفس طويل، ويكتسب هذا النموذج قوته من خلال ما أثبته عن قدرته علي مزج مفاهيم ظلّ كثيرون يشككون طويلاً في إمكانية التقائها في مكوّن واحد، مثل الديمقراطية والإسلام،الانفتاح والاستقلال، الإصلاح والاعتدال، التسامح والبراجماتية.

٢-على الصعيد الاقتصادي: توظيف قدرات البلاد ومواردها الطبيعية والبشرية كافة، والاعتماد على التصنيعِ والتصدير، والمزج بين الزراعي (اكتفاء ذاتي) والصناعي (ثاني أكبرَ منتج لصفائح الزجاج في العالم، وسادس أكبر منتج للأسمنت والملابس الجاهزة على سبيل المثال) والخدمات فدخل القطاع السياحي يزيد على ٢٠ مليار دولار ومُكَافحة الفساد والرشاوى والتدهور المالي وزيادة القدرة الإنتاجية والتجارية.

ورفع الناتج المحلي الإجمالي من حوالي ٤٧٠ مليار دولار عام ٢٠٠٣ إلى أكثر من تريليون ومئة مليار عام ٢٠١٠،ورفع مستوى دخل الفرد من حوالي ٣٣٠٠ دولار عام ٢٠٠٢ إلى حوالي ١٣٣٠٠ ألف دولار ٢٠١٠، والنهوض بالبلاد من حالة الانهيار الاقتصادي إلى المرتبة الـ١٥ عالميًا خلال ٩ سنوات فقط.

٣- على صعيد السياسة الخارجيَّة: تبنى سياسة خارجية عقلانية مدروسة تقوم على رؤية واضحة وعميقة لِمُعْطَيات المنطقة ومتغيّراتها، وتأخذ في الاعتبار قدرات تركيا ومعطياتها الجيو-إستراتيجيَّة،والتزاماتها الخارجية بما يحقق مصالحها أولاً وقبل كل شيء دون وجود عقدة التعاون مع القوى الكبرى على أساس من النديّة والاحترام المُتبَادل.

ويرى الكثيرَ من المحللين أنَّ من أسرار النهضة التركية الراهنة توافّر عاملين مهمين هما: الديمقراطية والنّزاهة، فالتجربةُ الديمقراطية في تركيا مكَّنت الشعب التركي من الإدلاء بصوته ورأيه بصورة واضحة والنزاهة التي ميَّزت التجربة الديمقراطية تُعَدُّ ضمانًا مُهمًا لكي تظل الثقةُ قائمةً بين المواطن ومُؤَسَّسات الدولة .

واستطاع حزب العدالة والتنمية التكيُّف مع الديمقراطية الليبرالية والعلمانية لحقوق الإنسان وحريات الفرد والمُجتمع والأقليَّات، في رسم السياسات وحكم البلاد، ووضعت تركيا نصب عينيها التطوُّرات الاقتصاديَّة والسياسيَّة والعلميَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة الجارية في أوروبا كمثال لبلوغ مستوى المدنية المُعَاصرة. وما وصلت إليه تركيا، هو نتاجُ عوامل وأسباب مُرَكَّبة، والديمقراطية بكل تفاصيلها ومستوياتها ومُتَطَلباتها، هي حجرُ الزاوية في هذه التجربة ، التي منحت تركيا الكثيرَ من عناصر القوة والفرص، الأمر الذي أدَّى إلى جعلها تُطَبِّق سياسة القوة الناعمة بسهولةٍ ويُسر، الأمر الذي أدَّى في النهايةِ إلى جعل هذه السياسة تُؤْتِي ثمارها على أكمل وجه، وأكثر مما هو مُتوقع .

وأضحت الأفلامُ والمُسَلْسَلات التليفزيونيَّة والمسرحيات وما شابه أفضل وسيلة لأي دولة فى العالم لنشر ثقافتها وأخلاقها وعاداتها الاجتماعيَّة وقيمها ، بل وأكثرها تقبلاً لدى شعوب العالم، من التقارير التي تعرض على شاشات التلفاز ولا يختلف اثنان على أنَّ موجة المُسَلْسَلات التركيَّة اجتاحت في الآونة الأخيرة البيوت العربيَّة، وهذا إنْ دلَّ على شيء فإنَّه يدل على الساحةِ الإعلاميَّة التي اكتسحتها المُسَلْسَلات التركيَّة في كامل القنوات العربية.

ومن ثَمَّ أصبحت المُسَلْسَلات التركيَّة إحدى وسائل السياسة الخارجيَّة التركيَّة في المنطقةِ العربية ضمن القوة الناعمة التي استطاعت أنْ تُحْدِثَ تأثيرًا إيجابيًا لدى الكثيرِ من العرب، وتزامن ذلك مع عودة الدور التركي في منطقة الشرق الأوسط والمواقف الإيجابية تجاه القضايا العربيَّة، مما يطرح سؤالاً مُهِمًا حول مدى التأثير الذي يُمْكِن أنْ يصاحبه البُعد الثقافي في حياة الشعوب وقد أسهم هذا النوع من المُسَلْسَلات إلى حدٍ كبيرٍ، في تلميع صورة تركيا وتعزيز نفوذها في الخارج؛ لِتُصْبِحَ القوة الناعمة للدبلوماسيَّة التركية، المشغولة بالتطورات الجديدة في العالم العربي، الذي دخل مرحلة انتقال سياسي عميق، حيث تركيا لا تريد أنْ تبقى مجرد مراقب للأحداث، ويعكس الإنتاج الفني الغني الطفرة التي يعيشها المشهد الثقافي التركي، الذي يندرج في سياق التقدُّم الذي تعرفه البلاد في العديدِ من المجالات الأخرى، لاسيَّما التجارية والصناعية والاجتماعية.

# الباب السابع
# أمريكا والقوة الناعمة

## أمريكا وسياسة القوة الناعمة:

منذ فجر الإسلام وأعداء الدين من الكفار في حرب عليه، وصدق الله في وصفه لحالهم:{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ} الأنفال٣٦ .

وحرب هؤلاء على الإسلام وأهله اتخذت ولا زالت شكلين أو طريقين: طريق المواجهة المادية السافرة، متمثلة في الحرب العسكرية، ابتداء من معركة بدر، مرورا بالحملات الصليبية، وانتهاء بالعراق وأفغانستان أما الطريق الثانية، فلا تتوسل بالغزو العسكري الصليبي المباشر لبلاد المسلمين، من أجل تمزيقهم وتفريقهم ونهب خيرات بلادهم، وإنما تعتمد أسلوب القوة الناعمة غير الظاهر والماكر الخفي في حربها ضد الإسلام وأمتة وإذا كانت القوة الناعمة تقابل الحرب العسكرية المباشرة، كأسلوبين يكملان بعضهما بعضاً، فالقوة الناعمة أخطر وأدهى وأمر ، ذلك أنها حرب غير معلنة، لكنها ضروس، ظاهرها فيه الرحمة لكن منها يأتي العذاب كله ومفهوم القوة الناعمة ليس جديداً، وهو معمول به على مر تاريخ حرب الكفار المستعمرين على الأمة ودينها، لكن الجديد فيه هو أنه أخذ يستعمل أدوات كثيرة متنوعة ومبدعة، لم تكن متوفرة قبل الحرب العالمية الثانية وهكذا فمصطلح القوة الناعمة أو القوة اللينة الذي تحدث عنه جوزيف ناي إنما يعبر عن سياسة حرب ضد الإسلام ليست مستحدثة .

وإذا كنا بصدد كشف خطر القوة الناعمة العظيم، في حرب أمريكا على الإسلام والمسلمين، حتى نحذر منها ونواجهها ، فلا أفضل من كلام جوزيف ناي في كشف أهدافها وأدواتها أي كشف مستور الحرب الخفية المستعرة ضد الإسلام وأمة الإسلام لقد رأى جوزيف ناي أن قوة أمريكا العسكرية الغاشمة، وهيمنتها الاقتصادية البشعة، لم تعد تكفي كسبل للهيمنة والسيطرة، بل تسيء كثيراً لصورتها، وتشكل خطراً على أهدافها وتطلعاتها الاقتصادية والسياسية والثقافية ولذلك دعاها إلى استخدام أدوات ووسائل وأساليب مستترة، ماكرة، غير مباشرة سماها القوة الناعمة في الترويج والترغيب لسياساتها، حتى تحقق ما تريد من أهدافها الاستعمارية فجاءت رسالته تقول: يمكن لأمريكا أن تحصل على النتائج التي تريدها في العالم خصوصاً في بلاد المسلمين وأن تبقى مهيمنة، إذا هي انتبهت لقوتها اللينة في سياستها تجاهه،إضافة إلى قوتها العسكري كلما لزم فالرجل يريد من أمريكا أن تظهر براعة كبيرة في ممارسة القوة الناعمة، كما أظهرت ممارستها للقوة الصلبة لكسب حروبها.

ولا شك أن إدارة كلينتون - في التسعينات - استفادت كثيراً من سياسة القوة الناعمة هذه، ولذلك عرفت سياستها حينئذ بسياسة الوفاق على عكس إدارة بوش الابن والمحافظين الجدد، التي فضلت سياسات مكشوفة في حربها على الإسلام والمسلمين، وتعالت حتى على حلفائها في أوروبا، مما جعلها تخسر كثيراً حول العالم يقول ناي في ذلك أعتقد أن سياسة بوش تركت الولايات المتحدة أضعف، فغزو العراق كان خطأ استراتيجياً فادحاً، خفض من قوة أمريكا الناعمة في العالم الإسلامي، ولم يعزز لنا مزايا في الطاقة أو منافع جيوسياسية ويمكن تلخيص أفكار سياسة القوة الناعمة الخطيرة ،التي تتبناها الإدارات الأمريكية المتعاقبة ، في فرض هيمنتها الاستعمارية، وباتفاق كامل على صحتها وأهميتها، وبنسب متفاوتة في التطبيق بالتالية :

١-إن الشكل العسكري في الاستعمار الأمريكي ينجز كثيراً من الأهداف، ولكنه يجب أن لا يكون الوحيد ومن الأهمية بمكان أن تضع أمريكا برامج في السياسة، تجذب الآخرين إليها، وأن لا تجبرهم على الانصياع لإرادتها، من خلال التهديد، أو استعمال القوة العسكرية أو الاقتصادية كخيار وحيد وهذا لا ينفي أن القوة القاسية العسكرية تساعد الآخرين خصوصاً في بلاد المسلمين على قبول أدوات القوة الناعمة، والرضوخ لها، فسياسة العصا تساعد سياسة الجزرة.

٢- القوة الناعمة لا تعني الإقناع، فهي أكثر من الإقناع والبرهنة بالجدل على صحة الفكر والسياسات، تعتمد الترغيب والجذب والإغراء، الذي يؤدي إلى التقليد والرضوخ.

٣- إن فرض ثقافة أمريكا كثقافة عالمية ، وقدرتها على وضع قواعد مفضلة، ومؤسسات تحكم بلاد المسلمين، هي مصادر حاسمة للقوة، كقيم الديمقراطية، والحرية، والتطور السريع، والمؤسسات، والانفتاح، والشخصية المحبوبة فهذه لا ترتبط بالحكومة الأمريكية وصورتها البشعة في عين العالم، كما ترتبط بها القوة القاسية.

٤-إن أسلحة القوة الناعمة، التي تجذب الآخرين إليك، تجعل الآخرين يعجبون بك، وتغريهم مبادئك، وتجعلهم يتطلعون إلى ما تقوم به، فيتخذون موقفًا إيجابيًا من قِيَمك وأفكارك، وبالتالي تتفق رغبتهم مع رغبتك وتخلق لنفسك جاذبية - بدرجة ما تعجز الأسلحة الدموية أن تحصل عليها وتعتمد على قدرة أمريكا على صياغة رغبات الآخرين، بعد أن تكون بمثابة قدوة لهم، يتبنون قِيَمها وأسلوب حياتها، وبذلك تغني عن استخدام أسلوب العصا والجبر، إضافة إلى أنها تستمر إلى أمد بعيد.

٥- المطلوب هو قوة ذكية تدمج بين أدوات القوة الناعمة، والقوة الصلبة، في استراتيجيات ناجحة وهذا ما أشارت إليه وزيرة الخارجية الأمريكية، هيلاري كلينتون، في غير مناسبة تقول إن الولايات المتحدة ينبغي أن تستخدم ما يطلق عليه القوة الذكية، وهي جميع الأدوات المتاحة لدينا، والتي تشمل الدبلوماسية، والاقتصاد، والقوة المسلحة، والقانون،والثقافة وفي ظل القوة الذكية، ستكون الدبلوماسية في مقدمة سياستنا الخارجية.

٦- إن أسلحة الحرب الدموية باهظة التكاليف على أمريكا، مقابل ما يمكن أن تقوم به أدوات القوة الناعمة فأمريكا تنفق ١٧ ضعف ما تنفقه على أعمالها الناعمة، على الحروب لذلك نرى جوزيف ناي يستنكر تجاهل أعمال القوة الناعمة، وأثرها الكبير، في تحقيق تفوق وسطوة أمريكا.

٧- القوة الناعمة أداة من أدوات الحرب النفسية التقليدية وإن تطورت أدواتها كثيراً منذ مدة، القصد منها تجنب اللجوء للقوة العسكرية المكلفة، والمراهنة على درء خطر، أو تحصيل غنيمة، دونما تكلفة حرب، قد يذهب في خضمها الأخضر واليابس، من كلا الطرفين ووفق جوزيف ناي، فقد أضحى من الصعب – في العالم المعاصر- استخدام العصا إذ أن القوة العسكرية، وعلى الرغم من ضرورتها كسياسة ردع وإكراه، إلا أنها أصبحت صعبة جداً، وأصبحت الحرب أمراً مكلف جداً من الناحية المادية

٨- أمريكا تمتلك مصادر كثيرة للقوة الناعمة: فهي تملك ٦٢% من أهم العلامات التجارية،وبها ٢٨% من جميع الطلاب الدارسين خارج بلادهم ، وهي أكثر دولة تستقطب المهاجرين، وتنشر الكتب الثقافية، والمؤلفات الموسيقية، وتنتج البحوث العلمية، والتقنية، إضافة إلى أنها أهم مصدر للأفلام، والبرامج التلفزيونية كما أن تجارة أمريكا الدولية واتصالاتها الكونية الهائلة، تساعدها إلى حد بعيد في فرض ثقافتها.

٩- ثقافة النخبة أداة من أدوات القوة الناعمة، لذلك يجب الاهتمام بالمبادلات الأكاديمية، والعلمية، وصناعة القادة، التي تروج للفكر الأمريكي الرأسمالي، وتجعل حامليه أبواقاً لها في بلادهم يقول كولن باول وزير الخارجية الأمريكي السابق في ذلك لا أستطيع أن أفكر في رصيد لبلدنا أثمن من صداقة قادة المستقبل، الذين تلقوا تعليمهم هنا لأن الطلبة الدوليين، يعودون لأوطانهم، في العادة، بتقدير أكبر للقيم والمؤسسات الأمريكية، فهم يشكلون خزاناً رائعاً للنوايا الحسنة تجاه البلد الذي درسوا فيه، وفي كون الكثير منهم سينتهي به الأمر إلى تولي السلطة هناك، في بلده الأم كما أن الثقافة الشعبية، المتمثلة فى الأفلام والأغاني والرياضة، وما إلى ذلك، مما يبث القيم الأمريكية، خصوصاً هوليوود لها مفعول السحر في العالم،وهي أكبر مروج للفكر الذي يعتمد عليه الكثيرون اليوم ناهيك عن سيطرة أمريكا على مواقع النت،وألعاب الفيديو، التي تصل كل بيت.

١٠-المؤسسات غير الحكومية تتمتع بقوة ناعمة كبيرة، ويمكن أن تلعب دوراً هاماً، في إخضاع الآخرين، لما تريد، مثل المنظمات الحقوقية، والشركات عابرة القارات، خاصة أنها تستفيد الآن من ثورة المعلومات والاتصالات، التي تتحكم فيها أمريكا.

١١- إن مساعدات التنمية الدولية، والدبلوماسية العامة، من أهم أدوات القوة الناعمة وهذه تساعد، إلى حد بعيد، في تحسين صورة أمريكا في العالم ومن أجل ذلك يقترح جوزيف ناي استخدام ثلاثة أبعاد للدبلوماسية العامة وهي:

١-الاتصالات اليومية: أي توضيح السياسات المحلية، والخارجية، عبر الإعلام.

٢-الاتصال الاستراتيجي: أي الحملات السياسية الدعائية المركزة.

العلاقات الدائمة مع الشخصيات، عبر المنح الدراسية، والمبادلات الأكاديمية، والتدريب، والمؤتمرات.

١٢- نشر المعلومات المضللة، وفبركتها، من خلال وسائل الإعلام، والدعاية التي تسيطر عليها أمريكا من جهة، وكتم كل ما يعكس سلبيات الرأسمالية، ومكر السياسات الخبيثة لحكامها من جهة أخرى وما شراء البنتاغون للآلاف من النسخ من أجل تدميرها، لكتاب عملية القلب لأحد الضباط في أفغانستان، مؤخراً، يكشف فيه عن إجرامها ، إلا مثال يؤكد ذلك.

١٣-العالم العربى وبلاد المسلمين يمثل تحدياً خاصاً أمام استخدام القوة الناعمة فيه، لأسباب عديدة، منها الفوارق الثقافية الكبيرة، بين أمريكا، والعالم العربى ، ونزعة العداء لها لذلك فقد وضعت لجنة استشارية بعض التوجيهات، لزيادة قوة أمريكا الناعمة في البلاد العربية الإسلامية، مثل إنشاء المكتبات، وترجمة الكتب الغربية إلى العربية، وزيادة المنح الدراسية، والزيارات الأكاديمية وفي هذا الصدد يشدّد جوزيف ناي، على أن أهم شيء، هو تطوير إستراتيجية، بعيدة الأمد، للمبادلات الثقافية والتعليمية، التي تنمي مجتمعاً مدنياً، أغنى وأخصب، وأكثر انفتاحاً، في بلدان العالم العربى ويضيف إن أكثر الناطقين باسم أمريكا، تأثيرًا، ليسوا هم الأمريكيون، بل وكلاؤهم المحليون، من أهل البلاد الأصليين، الذين يفهمون فضائل أمريكا.

هذه أبرز ملامح القوة الناعمة من منظور السياسة الأمريكية ونحن المسلمون، عندما ننظر في أدوات القوة الناعمة، التي تستخدمها أمريكا، خصوصاً ما تعلق منها بسياستها تجاه بلادنا وقضايانا، تتجلى لنا الأمور التالية :

- ان استخدام أساليب القوة الناعمة، بجانب القوة العسكرية، هدفه المزيد من الهيمنة الرأسمالية، على بلاد المسلمين أي أن هذه الأساليب والأدوات، ليست نظيفة، فأمريكا تعادي الإسلام، وتعادي أمة الإسلام، وهي بعقليتها الرأسمالية الاستعمارية، لا تقدم للمسلمين إلا كل شر، حتى وإن أظهرت عكس ذلك.

- تعترف سياسة القوة الناعمة الأمريكية، أن أدواتها اللينة، تكمل البلطجة العسكرية، والهيمنة الاقتصادية، وهذا دليل دامغ على نوايا أمريكا ضدنا .

- إن الهدف الأوحد بعد الهيمنة الاستعمارية طبعاً لأدوات القوة الناعمة، المعمول بها في بلادنا، هو تضليلنا، حتى نسير في ما تريده أمريكا، ونحن نصفق لها، وننظر لها بإعجاب، فنقوم بما تريده، ونحن غافلون عن أهدافها وسياساتها فأمريكا تدرك، حق الإدراك، أن أعمال القوة الناعمة، التي تقودها في بلادنا، لا تستفز الناس، كالأعمال العسكرية التي تجعلهم يقفون ضدها، بل يمكن أن يقبلها الكثيرون، على أنها منح من دولة عظمى، تحب الخير للبشرية وهكذا فسياسة القوة الناعمة الأمريكية تقوم على القيام بالأعمال،وإخفاء الأهداف وأعمال القوة الناعمة، لا تستهدف حكام المسلمين، وأنظمتهم المأجورة، فالحكام في صف أمريكا ضد شعوبهم، وقد فتحوا بلادهم، ليس فقط أمام الناعم من الأفكار والأعمال والسياسات الخبيثة لأمريكا، بل تمترسوا معها، في حربها العسكرية، على شعوبهم.

- إن أساليب ووسائل القوة الناعمة، التي تنتهجها أمريكا في بلادنا، أخطر علينا من حربها العسكرية بكثير، ذلك أن ما لا تستطيع أمريكا تحقيقه بالقوة الغاشمة، كما يحدث في العراق وأفغانستان، يمكن لها أن تحققه بقوتها الناعمة.

- إن الأعمال السياسية، التي تقودها أمريكا في بلادنا والتي تعتبر من أدوات القوة الناعمة، لم تجلب للمسلمين، وبلادهم إلا الدمار والناظر في كل قضايا المسلمين، التي تملك أمريكا ملفاتها، بوصفها المخرب الأول للسياسات في العالم، يرى بوضوح أن تلك السياسات تعادينا بامتياز، والواقع يغني عن ضرب الأمثلة

كما أن التصريحات السياسية الكاذبة، التي تستخدمها الإدارة الأمريكية، أثناء رعايتها لقضايانا، مثل شعار أوباما الأخير، من أن أمريكا ليست في حرب مع الإسلام، تسقط وتتهافت مع صواريخها، التي تفتك الآن بالآلاف، من المسلمين الأبرياء، في أفغانستان، وتسقط مع سجونها الممتلئة بنساء ورجال المسلمين هنا وهناك، وتسقط مع رعايتها لمن يهاجم دين الإسلام، وعقيدة الإسلام، وقرآن المسلمين، وإمام المسلمين الرسول الكريم٠

- إن سياسة أمريكا في بلاد المسلمين ثابتة، ولا تتأثر بذهاب إدارة، وقدوم أخرى، وهي سياسة تقوم على إستراتيجية عدائية تخريبية، و تصنعها دوائر أكبر من الرئيس نفسه لكن الفرق بين الإدارات، هو في التعبير عن هذه السياسة، فبوش الابن كان واضحاً صريحاً في إعلانها حرب صليبية علينا، أما أوباما، فيحاول الضرب بقفاز من حرير، وهذا أدهى وأمر وللتأكيد على ذلك نتساءل: هل توقف الغزو الصليبي، لبلادنا، على عهد الإدارة الحالية ؟ وهل توقف القتل بالجملة للمسلمين ؟ وهل توقف النهب المنظم لمقدراتنا بينما يعيش الملايين منا في فقر مدقع ؟ وهل أنصفتنا الإدارة الحالية، وهي تلعب بقضايانا، أم أن السياسات التخريبية استمرت وبقوة؟ !

- يخطىء من يظن أن أمريكا، الرأسمالية، لديها ما تقدمة للبشرية، من أفكار، وقيم، وطراز عيش يحتذى وما تفرضه أساليب، ووسائل القوة الناعمة الأمريكية علينا، من أفكار وشعارات وسياسات زائف متهافت، لا يقبله، وينادي به، إلا كل معجب بثقافة العم سام، المصنوع على يديه فالرأسمالية شر مستطير، في كل مناحي الحياة الإنسانية: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، لفساد الأسس، التي بنيت عليها أحكامه، وقوانينه، التي جعلت الإنسان، وحياته العملية، إنساناً مادياً بحتاً وهذا يعود للعقيدة الفاسدة، التي ينادي بها المبدأ الرأسمالي.

وهي فصل الدين عن الحياة عقيدة الحل الوسط، التي لم تقنع عقلاً، ولم توافق فطرة سليمة ومن يبرر لأمريكا نشر ثقافتها، حول العالم،خصوصاً في بلاد المسلمين المستهدفة، في المقام الأول، على أساس أنها ثقافة حضارية رفيعة ومقبولة، عليه إدراك مفردات تلك الثقافة، وإدراك ما فيها من فساد كبير فأمريكا الديمقراطية الرأسمالية، لا يجوز أن تكون محط أنظار أحد منا، نحن المسلمين، وبالتالي إعطاءها الحق في فرض قيمها، وأفكارها علينا هذا إن نحن طبعا فهمنا مبدأنا، وأدركنا أنه وحده الصحيح، ولم نفقد هويتنا بالانبطاح أمام كل فكر مستورد دخيل، ظاهره يسرق النظر، وداخله سم زعاف إن الناظر في الرأسمالية الفاسدة التي تقودها أمريكا، يرى إجرامها في حق البشرية، عموماً، وفي حق الأمة الإسلامية، على وجه الخصوص ومن ذلك:

استعمارها السياسي، خصوصا في بلاد المسلين، من أجل السيطرة على النظم السياسية، التي تمكنها من نهب كل مقدراتنا، وإبقائنا فقراء.
- استعمارها الاقتصادي، ومنه التحكم النقدي، وسياسة القروض، مسخرة في ذلك المنظمات الدولية، وبعض الأفكار الخداعة، كسياسات السوق، وأفكار العولمة، والخصخصة، وغيرها، علماً أنها تمارس نقيض هذه الأفكار، إذا تعارضت مع مصالحها.

- حروبها العسكرية المباشرة خصوصاً في بلاد المسلمين، التي تخوضها باسم حرب الإرهاب، لبسط هيمنتها السياسية، والاقتصادية، سواء بإثارة الفتن، أو التدخل لحل المنازعات، إضافة إلى زرع الكيانات المرفوضة، وإثارة فتن الحدود.

- سياستها في التشويه، والتضليل الفكري، والسياسي، والحرب المباشرة لضرب العمل الإسلامي، الذي يهدف إلى الانعتاق من هيمنتها، بالعمل من أجل وحدة الأمة، في كيانها السياسي، المسلوب منها، الخلافة

- محاربتها للديمقراطية الكاذبة، ولجمها للحريات، في البلاد المحتلة خصوصاً في بلاد المسلمين، فأمريكا تنادي بها، وفي نفس الوقت، تحاربها سراً، ومن طرف خفي وهي تفعل ذلك، حتى يبقى مبدأها الرأسمالي قائماً، وحتى لا يضرب في صميمه، وبالتالي تتخلى عنه الشعوب فأمريكا لا تقبل أن تأخذ الشعوب بأفكارها - على فسادها وكذبها وخداعها - فتملك إرادتها السياسية، وتوقف الهدر في ثرواتها لصالحها، وبالتالي تكشف اقتصادها الهش، وتحطمه ونحن نتساءل هنا: هل تريد أمريكا الديمقراطية أن ينتخب المسلمون بالفعل حكامهم؟ أليست هذه هي الديمقراطية التي تتشدق بها ليل نهار؟ إن أمريكا تريد وجهاً واحداً للديمقراطية في بلاد المسلمين: أن يتخلى المسلمون عن دينهم، وأن يأخذوا تشريعاتها، وأفكارها الزائفة، التي تكرس انحطاطهم، وتبعيتهم لها،وبالتالي عدم نهوضهم ولا تقبل أن ينتخب المسلمون حكامهم، لأنهم لو فعلوا، نصبوا عليهم حاكماً مؤمناً مخلصاً قوياً، أول ما يفعله هو أن يقطع رأس الرأسمالية.

- إن آفات المجتمعات الرأسمالية - ومنها الأمريكي- دليل على فساد مبدأها، ويجعلها غير مؤهلة لأن تقدم للبشرية أي خير يرجى فكيف ينادي من ينادي، بعد ذلك، بنشر الأيدولوجيا، والثقافة الأمريكية، كأداة قوة ناعمة، في بلادنا، بينما تعم الجريمة على أنواعها عندهم، وتنتشر الإباحية والمخدرات انتشار النار في الهشيم، وينعدم الأمن، وتعم القلاقل الاقتصادية، ويسود التفاوت الطبقي الفاحش، وتعم الفوضى الجنسية، وتضيع الأنساب، وتتفكك الأسرة، بل تنقرض، وينتشر النهب، والاحتيال القانوني، والاحتكارات، والرشوات ناهيك عن سياساتها البلطجية، وحروبها الاستعمارية، وهيمنتها الاقتصادية، التي تستبيح بلادنا ليل نهار فمن ينادي بذلك منا، إما أن يكون عميلاً فكرياً، بامتياز، يخدم أسياده الأمريكان، وإما جاهل بمفردات الواقع، عليه أن يتعلم، وإما مجنون، عليه مراجعة قواه العقلية .

نخلص إلى القول أن القوة الناعمة، في المفهوم العملي لأمريكا، هي الصورة الأخرى للقوة الصلبة، أو الأعمال العسكرية، فهما وجهان لعملة واحدة: العصا والجبر والحرب المادية من جانب، والجزرة أو أعمال الجذب اللينة، في الجانب الآخر، في تناسق وتكامل حتى وإن ظهرا متناقضين عضوياً لتحقيق أهداف الاحتلال في بلادنا.

والغرب في حرب شرسة مع الإسلام، وأمة الإسلام، وهذه حقيقة عقدية تاريخية سياسية، لا ينكرها إلا كل مكابر وإذا كان المسلمون يعون أعمال أمريكا العسكرية، وأهدافها في بلادهم، عليهم أن يدركوا - وبنفس المستوى - خطر أعمالها الناعمة الخفية، في سياستها تجاههم، فيتصدون لها ، ويناوؤنها، ويعملون على أن لا يكونوا حجارة شطرنج تحرك وهي راغبة فامريكا اليوم لا تخاف إلا من شيء واحد: تحرك أمة الإسلام الظاهر والمتنامي باتجاه وحدتها السياسية، في دولتها دولة الخلافة، وهذا ما يدفعها لأن تبذل سواء في حربها العسكرية أو أعمال قوتها الناعمة من أجل منعها من النهوض مرة أخرى فهل نتركها تفعل ما تريد؟.

**تحديات أمام القوة الناعمة الأمريكية:**

تواجه القوة الناعمة الأمريكية تحديات هائلة جرّاء الانتشار الهائل للقنوات التلفزيونية الفضائية وبروز صناعة السينما على المستويات الإقليمية والمحلية مثل سينما بوليود الهندية ونمو وانتشار القنوات الفضائية عالمياً، لم يزد كثيراً من فرص إنهاء الاحتكار والهيمنة الأنجلو- أمريكية على الأخبار التلفزيونية، وذلك لم يتحقق كما كان مفترضاً بسبب التكلفة الباهظة لإنتاج وتحرير الأخبار التلفزيونية ،لكن هذا الأمر تغير مع تدشين عمل قناة الجزيرة عام ١٩٩٦ ، فالتمويل السخي الذي تقدمه قطر للقناة التي تتخذ الدوحة مقراً لها، مكّنها من منافسة القنوات الإخبارية العالمية مثل السي إن إن وفوكس نيوز.

وأصبح من الأمور المستقرة في الفكر السياسي أن مصادر قوة الدولة ومكونات نفوذها تتغير، وأن القوة العسكرية وحدها لم تعد تحقق سوى القليل، وأن للقوة في عالم اليوم مكونات متنوعة،عسكرية ودبلوماسية واقتصادية ومعنوية، تمنح الدولة القدرة على شق طريقها في العالم،وأن جوهر القوة يجسده ضغط سياسي ونفسي وقد تكون الدولة قوية عسكرياً، لكن أساسها الداخلي متهافت، سياسياً واقتصادياً، وبالتالي لا يمكن اعتبارها قوية وقادرة في عالم تتنافس فيه القوى الدولية،على جبهات صراع اقتصادية وثقافية وسياسية وعسكرية وعلى الرغم من التركيز على استخدام القوة الصلبة من جانب الدول باعتبارها وسيلة لها أولوية لضمان أمنها القومي، إلا أنه لا يمكن تجاهل التأثير المتزايد للقوة الناعمة على العلاقات الدولية.

لم يعد ممكناً اليوم, استخدام أساليب الاحتلال المباشرة, أو استعمال القوة الصلبة، فقد جاء الإعلام والسلطات الرمزية الأخرى لتأدية ذات الدور, أي القدرة على تحقيق عائد في الشؤون الدولية من خلال الاستقطاب, أكثر مما يمكن تحقيقه عبر الإكراه وارتبط تعريف القوة تاريخياً بالقوة في الحرب، حيث اعتبرت عناصر مثل السكان، والأرض، والموارد الطبيعية، والقوة الاقتصادية، والاستقرار السياسي، والقوة العسكرية، المكونات الرئيسة لمفهوم القوة، فإذا كان لدى الدولة أسطول قوي وجيش مدرب بشكل جيد، وقوة ديمجرافية واقتصادية، فمن المحتمل أن تكون قادرة على إجبار أو إكراه، أو حتى رشوة جيرانها، ثم دفعهم إلى الامتثال لأهدافها.

لكن حصر القوة في هذه العناصر قد قوبل بانتقادات، لاحظت أن امتلاك عناصر القوة السابقة قد لا يؤدي بالضرورة إلى الحصول على النتائج المرجوة، فتمّ تقسيم القوة إلى: صلبة وناعمة وذكية ولبناء القوة الناعمة ، تعتمد الدول على ثلاثة مصادر:

- الثقافة: وهي القيم والممارسات التي تضفي معنى ما على أي مجتمع، وتتجسد في الأدب والفن والإعلام وتمتلك الولايات المتحدة نفوذاً وتأثيراً في عالمنا الراهن مستفيدة من شيوع اللغة الإنكليزية، سواء في لغة التخاطب اليومي، أم لغة التجارة والأعمال، وهناك اليوم عشرات الملايين، إن لم نقل مئات الملايين من البشر يأكلون ويلبسون على الطراز الأمريكي، ويستمعون الأغاني الأمريكية ويشاهدون الأفلام الأمريكية كما أن هناك اليوم مئات الملايين من البشر ممن يستخدمون الحواسيب والبرمجيات الإلكترونية الأمريكية, ويتكلمون الإنجليزية باعتبارها لغة التقنيات والأعمال وتداول العملة, ومن يقرأون الآداب ويطلعون على الأفكار ويتابعون الصحف والمجلات ووسائل الإعلام الأمريكية وبالتالي, فإذا كانت القوة الصلبة تنبع أساساً من القدرات العسكرية والاقتصادية, فإن القوة الناعمة تأتى من جاذبية النموذج, وما يمتلكه من قدرة التأثير والإغراء للنخب والجمهور على السواء فحينما تبدو السياسة الأمريكية مقبولة ومشروعة في أعين الآخرين, يتعاظم دور القوة الناعمة أكثر, وبموازاة ذلك, تتراجع الحاجة إلى استخدام القوة العسكرية وعلى العكس من ذلك, فكلما تضخم استخدام قوة الإكراه, وضعفت شرعية مثل هذا الاستخدام, يتضاءل معها النفوذ الثقافي والسياسي والتجاري, وكل ما يدخل ضمن دائرة القوة الناعمة.

- السياسة الخارجية:وهي مكون هام من مكونات القوة الناعمة فاتباع سياسات خارجية مصممة بشكل جيد يدفع الدول الأخرى إلى أن تحذو حذو الدولة التي تستخدم القوة الناعمة .

وقد تعرض مفهوم القوة الناعمة لانتقادات عديدة، من بينها: أنه مفهوم شديد العمومية، ومن الصعب تحديد الآثار التي تنتجها القوة الناعمة،علاوة على أن القوة الصلبة، من وجهة نظر الواقعيين، تظل الأكثر تأثيراً في العلاقات بين الدول والأحداث الجيوبوليتيكية ودفعت هذه الانتقادات إلى تطوير مفهوم آخر للقوة هو القوة الذكية.

فهي عبارة عن مزيج من القوة الصلبة والقوة الناعمة أي الربط بين التسامح والشدة ويقبل تعبير القوة الناعمة كثيراً من التسامح، بينما تقبل القوة الذكية بعض التشدد وتعني القوة الذكية لدى أرميتاج و ناي الدمج بين القوة الصلبة وبين القوة الناعمة فمن خلال الجمع بين هاتين القوتين اللتين يطلق عليهما القوة الذكية ستتمكّن الولايات المتحدة من التعامل مع التحديات العالمية؛ حيث يوجد عدد من التحديات التي تواجهها واشنطن ليست ذات طبيعة عسكرية كصعود الصين التي حسب رأي الكاتبين تبني محطتي كهرباء تُداران بالفحم كل أسبوع، فالقوة العسكرية لن تفيد في التعامل مع تحديات من هذا النوع، ولكن التكنولوجيا الأمريكية المتطورة من الممكن أن تجعل الفحم الصيني نظيفاً، ويصبّ في حماية البيئة، وفتح أسواق جديدة أمام الصناعات الأمريكية.

**تراجع دور القوة الصلبة:**

نظراً لضخامة حجم القوة لدى بعض الدول وشعورها المفرط بهذه القوة، فقد ألفت التعويل على عضلاتها العسكرية ونفوذها السياسي والاقتصادي أكثر من انتهاج لعبة المساومات السياسية أو التمرس على فنون السيطرة الخفية والناعمة باستخدامها في كل وقت وحين وعلى هذا الأساس نفهم كثرة لجوء الساسة الأمريكيين إلى التدخلات العسكرية والمبالغة في إشهار السلاح في وجه الخصوم والأعداء أو من تعتبرهم مارقين وأشرار بل إن شعورها بمثل هذا التفوق قد غذى عندها شعوراً عميقاً بالقدرة على هندسة أوضاع العالم وتشكيل أحوال الشعوب والأمم بقوة السلاح وفي مختلف مناطق العالم بما ينسجم مع رؤيتها ومصالحها الخاصة وقد وظفت الولايات المتحدة الأمريكية قوتها الاقتصادية والعسكرية, غير المسبوقة تاريخياً, لبسط نفوذها على العالم, ليس فقط بتفوقها الصناعي والتكنولوجي والعلمي, ولكن أيضاً بفضل قوة تسلحها وضخامة جيشها.

ولن يتراجع الأمريكيون عن خياراتهم العسكرية إلا بعد أن يواجهوا بقوة مضادة ومؤلمة تضطرهم إلى التسليم بحدود القوة وجدوى الجنوح إلى السلم والمساومات السياسية وهذا ما بيّنته فعلا تجربة اجتياح فيتنام وعملية اجتياح العراق وهناك خمسة تحولات دولية ساهمت في تراجع دور القوة الصلبة أو على الأقل قلّلت من تأثيرها، تمثلت في:

أولاً:الاعتماد الاقتصادي المتبادل والذي جعل من الصعب استخدام القوة في صورتها القهرية.

ثانياً:الشركات متعددة الجنسية، والمنظمات الدولية سواء الحكومية أو غير الحكومية، أصبحت قادرة على ممارسة أنواع من القوة كانت قاصرة على الدول القومية.

ثالثاً:انبعاث النزعات القومية قد صعّب كثيراً من استخدام القوة، فعلى سبيل المثال، كانت بعض المواقع العسكرية الصغيرة قادرة على إدارة إمبراطورية مثل الإمبراطورية البريطانية، لكن في الوقت الحاضر، الولايات المتحدة، وجدت أنه من الصعب إخضاع العشائر الصومالية أو تهدئة الوضع في العراق، حتى مع زيادة عدد قواتها.

رابعاً:ساهم انتشار التكنولوجيا،خاصة في مجال تطوير الأسلحة النووية، والأسلحة التي تطبق تكتيكات غير متماثلة،في تعادل قوة الأطراف في أرض المعركة.

خامساً:التغير في قضايا العلاقات الدولية، جعل القوة العسكرية أقل قدرة على حل المشكلات المعاصرة، فامتلاك أقوى جيش لن يحلّ على سبيل المثال قضايا مثل الفقر والتلوث أو انتشار الأوبئة، كما أن استخدام القوة العسكرية أصبح مكلفاً جداً مقارنة بما كان في القرون الماضية.

## تراجع تأثير القوة الناعمة الأمريكية:

لقد أدت السياسات التي انتهجتها الولايات المتحدة الأمريكية عقب هجمات ١١ سبتمبر، خاصة اعتمادها بشكل أساسي على موارد القوة الصلبة، إلى تراجع دور القوة الناعمة، وإضعاف النفوذ الأمريكي على الساحة العالمية، جاء القرار الأمريكي بالحرب في العراق مخالفاً لرغبات العديد من حلفائها، وغير متوافق مع قرارات مجلس الأمن الدولي ولم تعط الولايات المتحدة اهتماماً كافياً لقضايا الشرعية والصدق في سياساتها تجاه العراق، فكان من الطبيعي أن تظهر استطلاعات الرأي تراجعاً كبيراً في القوة الناعمة الأمريكية ورفعت الولايات المتحدة، في إطار حربها على الإرهاب، شعار الغاية تبرر الوسيلة، فلم توفر الإجراءات القانونية الواجبة في قضايا مثل سجن أبو غريب، ومعتقل جوانتانامو، مما قوّض دعاوى أمريكا بالتزامها بالأخلاق، حيث جاءت هذه الأفعال متعارضة بشكل مباشر مع القيم التقليدية الأمريكية الخاصة بالحرية، وحقوق الإنسان، وسيادة القانون.

وأسهمت سياسات الولايات المتحدة تجاه قضية البيئة بدورها في تقليص القوة الناعمة الأمريكية كل هذه الأسباب أدت إلى إضعاف شرعية الولايات المتحدة، التي تعتبر العنصر الرئيسي للقوة الناعمة.

## أمريكا تستعيد القوة الذكية:

إن الولايات المتحدة بحاجة إلى إعادة استكشاف الكيفية التي تستطيع بها أن تتحول إلى قوة ذكية كانت هذه هي الخلاصة التي انتهت إليها اللجنة الحزبية الثنائية التي تألفت من أعضاء جمهوريين وديمقراطيين في الكونجرس الأمريكي، وسفراء سابقين، وضباط عسكريين متقاعدين ، ورؤساء منظمات غير ساعية إلى الربح

وانتهت إلى نتيجة مفادها أن الصورة الأمريكية والنفوذ الأمريكي قد انحدرا في غضون السنوات الأخيرة، وأن الولايات المتحدة لابدّ وأن تتحول من تصدير الخوف إلى بثّ التفاؤل والأمل.

وقد دعا وزير الدفاع السابق روبرت جيتس حكومة الولايات المتحدة إلى تكريس المزيد من المال والجهد لتنمية القوة الناعمة، بما في ذلك الدبلوماسية، والمساعدات الاقتصادية، والاتصالات، لأن المؤسسة العسكرية وحدها غير قادرة على الدفاع عن المصالح الأمريكية في كافة أنحاء العالم ويبلغ الإنفاق العسكري ما يقرب من نصف تريليون دولار أمريكي سنوياً، مقارنة بميزانية وزارة الخارجية التي لا تتجاوز ٣٦ مليار دولار ولقد أقرّ بأنه من الغريب أن يلتمس جيتس من حكومته تخصيص المزيد من الموارد لوزارة الخارجية، وعزا ذلك إلى أن العالم لا يعيش زمناً طبيعياً.

**أمريكا تصدر الخوف:**

ان التأثير الذي خلفه الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ كانت سبباً في انحراف أمريكا عن المسار الصحيح ففي أعقاب تلك الهجمات أصبحت الولايات المتحدة تصدّر الخوف والغضب بدلاً من القيم التقليدية المتمثلة في الأمل والتفاؤل وتحول خليج جوانتانامو إلى رمز عالمي أقوى من تمثال الحرية.

**مبدأ جديد محل الحرب على الإرهاب:**

خلصت لجنة القوة الناعمة التي تشكلت بواسطة مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية إلى أن الإرهاب من المحتمل أن يستمر لعقود من الزمان وأن الإفراط في الاستجابة للاستفزازات من شأنه أن يلحق الضرر بالولايات المتحدة والنجاح في الكفاح ضد الإرهاب يتطلب إدارة السياسة الخارجية الأمريكية

وفقاً لمبدأ وسط جديد يحل محل مبدأ الحرب ضد الإرهاب يتلخص هذا المبدأ الجديد في التعهد بالاستثمار في توفير السلع العامة العالمية التي تحتاج إليها الشعوب والحكومات في كافة أنحاء العالم ولكنها تعجز عن الحصول عليها بدون زعامة الولايات المتحدة وبمساعدة منها وبهذا فقط تستطيع الولايات المتحدة أن تعيد البناء الذي تحتاج إليه في التعامل مع التحديات العالمية القاسية وقد أوصت لجنة القوة الذكية بتركيز السياسة الخارجية على خمس نقاط:

- استعادة دور التحالفات، والشراكات، والمؤسسات المتعددة التي انزلق أغلبها إلى الفوضى في الأعوام الأخيرة بسبب التوجهات الأحادية.

- إعلاء دور التنمية الاقتصادية لمساعدة الولايات المتحدة في التوفيق بين مصالحها ومصالح الشعوب الأخرى في كل أنحاء العالم، بدايةً بمبادرة كبرى خاصة بتنمية الصحة العامة على مستوى العالم.

- الاستثمار في الدبلوماسية العامة التي تركز بصورة أقل على الأضواء الإعلامية وتهتم بالاتصالات المباشرة، والتعليم، وأشكال التبادل المختلفة التي تضم المجتمع المدني وتستهدف الشباب بصورة خاصة.

- مقاومة النـزوع إلى فرض الحماية ودعم المشاركة المستمرة في الاقتصاد العالمي، وهو الأمر الذي يشكل أهمية كبرى للنمو والرخاء في الداخل والخارج،مع الحرص على إشراك أولئك الذين تُركوا وراء الركب بسبب التغيرات التي أحدثها الاقتصاد الدولي المفتوح.

- العمل على إيجاد وتشكيل الإجماع العالمي وتنمية تقنيات الإبداع اللازمة للتعامل مع التحديات العالمية المتصاعدة الأهمية في مجالي أمن الطاقة وتغير المناخ.

- إن تطبيق هذه الاستراتيجية المعتمدة على القوة الذكية يتطلب إعادة التقييم استراتيجياً لكيفية تنظيم وتنسيق وتمويل الحكومة الأمريكية.

وكل هذا يتطلب قدراً لا يستهان به من الإبداع والابتكار، ولكن الولايات المتحدة كانت في الماضي قوة ذكية، وتستطيع أن تتحول إلى قوة ذكية من جديد.

**القوة الذكية في الفكر الأمريكي:**

في أمريكا , مثلت عبارة القوة الذكية إضافة الى كتاب المصطلحات الدبلوماسية في أعقاب غزو العراق عام ٢٠٠٣م , لكن لاجديد في ذلك , لأن مهمة الدبلوماسيين كانت تنحصر دائماً في استخدام عبارات مهذبة وجذابة في الحديث , كي يحققوا بها مايريدونه , فاذا لم يتمكنوا من تحقيق غاياتهم من خلال الكلام , فانهم لايتورعون عن اختلاق المشكلات أجل تحقيقها.

وللتوفيق بين القوة الناعمة والقوة الخشنة , يمكن اللجوء الى القوة الذكية , اي الربط بين التسامح والشدة , فبالقوة الناعمة تكون امريكا قادرة على ماتريد عن طريق الاغراء بدلاً من القسر.

تشير استطلاعات الرأي العام العالمي إلى تراجع قوة أمريكا وقدرتها على جذب الشعوب في كل من أوروبا وأمريكا اللاتينية , وشعوب العالم الاسلامي , ولما كان سهلاً على أية دولة أن تغير سياساتها أكثر من أن تغير ثقافتها , فان في وسع أوباما أن ينتهج سياسات تساعده على استعادة بعض ماخسرته أمريكا من قوتها الناعمة.

# الباب الثامن
# مواجهة القوة الناعمة

في عملية المواجهة علينا أن لا نتحدث بصيغة مترفة، ولا نقول أنَّ علينا أن تكون وسائلنا الإعلامية أقوى وأهم وأوسع وأشمل من وسائلهم الإعلامية لأننا لا نستطيع ذلك، لكن على الأقل لا بدَّ أن يكون لنا وسائلنا الإعلامية بقدر استطاعتنا،ووسائل اتصالات نخاطب الناس من خلالها، ونقدِّم فيها برامج والمناقشات وأفكار بقدر ما نستطيع، كي نكون حاضرين فنقدم بديلاً جزئياً على الأقل، فلا تخلو الساحة تماماً ، وعلى الرغم من أنَّ هذا الأمر يتطلب إمكانات ضخمة، ويحتاج إلى قدرات كبيرة، فضلاً عن أن جاذبية الفساد تتفوق ابتداءاً على جاذبية الاصلاح، لكن علينا أن نعمل، ثم تصبح جاذبية الصلاح مؤثرة بعد فترة من العمل، فتقل الصعوبات والتعقيدات، خاصة أنَّ مشروع الصلاح ينسجم مع فطرة الإنسان، ولا زالت التعقيدات في منطقتنا أقل بكثير مما هو في الغرب، ولا زال مناخ الشرف والعزة والكرامة والإيمان يشكل عوامل مساعدة لتأثير وسائلنا على ضعفها في مواجهة التحديات.

**أسس المواجهة العامة:**

هناك أربعة أُسُسْ وقواعد لمواجهة الحرب الناعمة هى:
١- علينا أن نعرف أننا في حالة حرب دائمة, وهذه هي الحرب الناعمة، مما يتطلب العمل الدؤوب لمواجهتها لحظة بلحظة، لا أن نتوقَّف في مرحلة ونواجه في مرحلة أخرى.

٢- تحدث الحرب العسكرية عند اليأس من الحرب الناعمة أو الرغبة باستعجال النتائج، لذلك كلما كانت لديهم آمال بالحرب الناعمة يُؤَخِّرون حربهم العسكرية كما في لبنان أو في غير لبنان

وفي بعض الأحيان قد تكون الحرب الناعمة بديلاً عن الحسم العسكري للعجز عن الاستمرار فيه ففي الإحتماليين نحن أمام حرب ناعمة بسبب العجز عن تحقيق الأهداف بواسطة الحرب العسكرية، ولكن الحرب العسكرية تبقى احتمالاً موجوداً لدى الأعداء.

٣- يركز التأثير في المواجهة على البعد التربوي الثقافي والقيم من ناحية، وعلى التأثير السياسي من ناحية أخرى, ويعوِّل الأجانب على التأثير السياسي للتغيير، لأنه يُحدث انقلابات ومتغيرات في الواقع المستهدف، وعلينا أن نهتم في المواجهة بالأمرين: البعد التربوي الثقافي، والبعد السياسي.

٤- يجب أن نجمع قوانا في مختلف المجالات ونستفيد من كل الطاقات، إذ لا يمكن أن تكون المواجهة مقتصرة على فريق من دون آخر، ولا على جماعة من دون أخرى، فكلنا بحاجة إلى بعضنا بعضاً في مواجهة الحرب الناعمة، وهذا ما يتطلب أن تتكاتف جهودنا، في كل المراحل، وفي مواجهة كل التحدِّيات، وباتجاه كل الأبعاد من المؤكد أنَّ إرادةً حرة موجودة لدينا في مواجهة الحرب الناعمة تجعلنا منتصرين بإذن الله تعالى، لأنَّ التصميم هو البداية فهذه الحرب الناعمة مفتوحة على الأفكار والسلوك والمواقف السياسية،وهي في مواجهة النموذج القوي والجذاب الذي قدَّمه حزب الله في كل الجوانب من ناحية، والمقاومة التي عطَّلت مشاريع إسرائيل وأمريكا من ناحية أخرى.

وإذا أردتم أن تتعرفوا على أدوات القوة الناعمة التي نواجهها، فراقبوا الهجوم على النموذج وعلى المقاومة، أمَّا الأساليب والوسائل فرأسها الفتنة المذهبية وضخ الأكاذيب.

وأدوات الداخل صدى للحرب الناعمة، لكنها مُرْبَكَة وفاشلة ومكشوفة، وهي تقتدي بالإعلانات الأمريكية إلى درجة تماثل التعبيرات التي يستخدمونها مع التعبيرات التي يُطْلِقها البنتاجون أو البيت الأبيض أو الرئيس الأمريكي، وعلى الرغم من سِعَة اللغة العربية فهم عاجزون عن استخدام تعبيرات أخرى، بل لننصفهم هم عاجزون عن أن يختاروا طريقاً في الحرب الناعمة تخالف القرار المركزي الأمريكي.

**مقومات المواجهة:**

تمر المنطقة العربية بفترة حرجة قد تعصف بشعوب المنطقة وتحولهم إلى مجرد محميات، أشبه ما تكون بالمحميات الطبيعية التي تستهدف حماية بعض الحيوانات من الانقراض، والتي لم يجربها من البشر سوى الهنود الحمر والسكان الأصليين لأستراليا ونيوزيلاندا ذلك أنّ العرب غير محصنين ضد حملات الأكاذيب والتضليل الغربية، التي ما أن يكتشف العرب بعضها، حتى تبادر مراكز التفكير الأمريكية والغربية بابتكار غيرها؛ فما أن أدرك العرب والعالم الأكاذيب المتعلقة بغزو العراق،حتى ظهرت الأكاذيب المصاحبة لانتفاضات الربيع العربي، والتي بدأت بفبركة قصة تدور حول تسريب وثائق لموقع الويكيليكس، وتمثيلية إصدار أمر بالقبض على صاحب الموقع جوليان آسانج، واختباؤه في سفارة الإكوادور ولن تنتهي باتهام الجيش السوري باستخدام الاسلحة الكيماوية ضد الشعب السوري، والزعم بأنّ إسرائيل تستهدف بغاراتها شحنات اسلحة تتوجه لحزب الله، بينما توفر للمليشات المسلحة في سوريا غطاءً جوياً، وتحصل منها على إحداثيات أهدافها في سوريا

وتتمثل خطوات المواجهة في التالي:

١- تعد أولى خطوات المواجهة كشف أكاذيب الأمريكان والغرب لأبناء المنطقة

٢-العمل على كسب معركة العقول، فالغرب كسب معركة العقول قبل أن يكسب معارك الميدان في بلداننا.

٣-نقض عقيدة السوق، الأيديولوجيا الشمولية للإمبريالية الغربية على نحو عام، والإمبريالية الأمريكية على نحو خاص.

٤-صياغة مشروع نهوض حضاري عربي إسلامي يخرج عن دائرة التقليد، وينأى عن التبعية للغرب وللسلف على حد سواء.

وإذا كنا قد تعلمنا شيئاً من الحراك الشعبي العربي خلال الأشهر الأخيرة، فهو أن أي حراك شعبي يفتقد للبرنامج الواضح والقيادة الثورية المنظمة يصبح عرضة للاختراق والإجهاض والتلاعب فيه من قوى دولية وإقليمية تتناقض أجنداتها كل التناقض مع مصلحة الأمة ولا يقاس أي حراك سياسي بحسن نواياه فحسب، وملايين جماهير الشعب لا يمكن أن تكون عميلة للإمبريالية بأي شكل من الأشكال، ومن يرى غير ذلك يتخلى عن أهم احتياطي لأي مشروع تغيير حقيقي، غير أن القوة المنظمة تستطيع عادةً أن تتغلب على الأعداد غير المنظمة أو أن تخترقها وتحتويها، فما بالك وقد راحت الإمبريالية تستند إلى ترسانتها من أسلحة القوة الناعمة؟!

ولا معنى لتغيير أو ثورة تقود للمزيد من التبعية للإمبريالية أو لحلف الناتو والغريب أن اللجوء للسلاح لم يتم إلا في حالة الدول العربية ذات نزعة التحرر، مع أن قتل المتظاهرين بالمئات بدأ على يد مبارك وبن علي، ولم يؤدي ذلك للجوء للسلاح

ولا يعني ذلك أبداً أن الدول العربية ذات النزعة المستقلة لا يحق للمواطن فيها أن يطالب بحقوقه أو حتى أن يعارض، أو أن يناهض الفساد والاستبداد، ما دام ذلك لا يرتبط بأجندة خارجية أو مشروع تفكيك، ولكن عندما تحظى أي حركة أو شخصية معارضة في دول ذات نزعة مستقلة بالدعم الإمبريالي المكشوف، فإن ذلك يفترض أن يدفعنا لطرح كثير من التساؤلات، خاصة عندما يقترن بالدعم الإمبريالي العسكري المباشر، المترافق مع حملة في وسائل الإعلام الإمبريالية والتابعة لتغيير النظام.

أخيراً، وفي سياق الحديث عن نزعة الاستقلال، نشر موقع كاونتربنش اليساري الأمريكي مقالة مترجمة عن اللوموند ديبلوماتيك الفرنسية في ٢٠١١/٤/٨ بعنوان لماذا قررت الشركات النفطية أن القذافي عليه أن يغادر؟ قالت فيها ان القذافي، الذي انتقدته أيضاً على أشياء أخرى، سعى لإبقاء قطاع النفط الليبي منفرداً بإدخال عشرات الشركات النفطية الغربية للتنقيب عن النفط وللاستثمار في تطويره، بدلاً من السماح لشركات قليلة محددة أن تحتكر وأن تنال حصة الأسد، كما في حالة شركة أرامكو في السعودية مثلاً، كما أنه فرض شروطاً قاسية على تلك الشركات، ومنها دفع ١٣٣ مليون دولار عند توقيع العقد، وحداً أدنى هو ٣٠٠ مليون دولار للإنفاق على التنقيب، ومن ثم يمكن أن تحتفظ الشركة بحوالي عشرة بالمئة فقط من النفط الذي تستخرجه، ويمكن أن ترتفع إلى أكثر من ذلك، وصولاً لأربعين بالمئة في بعض الحالات الخاصة، والباقي للدولة وفي ظل هيمنة شركة النفط الوطنية الليبية على المخزون، فإن تلك الشركات لن تستغني عن النفط الليبي مع القذافي أو بدونه وذلك يمثل فعلياً قيوداً على الشركات متعدية الحدود لا تقبلها، فقط على سبيل المثال لا الحصر مع أن القضية قضية تبعية لمنظومة، لا قضية نفط فحسب .

فما هي الشروط التي سيفرضها متمردوا حلف الناتو على تلك الشركات ياترى، أو التي اتفقت معهم عليها، أو ربما التي ستطالب تلك الشركات القذافي بها في أي صفقة لوقف العدوان على ليبيا المجزأة؟!.

# أهم المصادر والمراجع


عدة مقالات لكل من ميلشتاين - منذر سليمان - محي الدين الحليبي - سيمور هرش- ماكسيمان فورت - مايكل آيزنشتات - محمد ثروت- لجلاسماتن ودوران.

القوة الناعمة - جوزيف ناي.

كتاب إرث من الرماد تاريخ CIA

عقيدة الصدمة - نعومي كلاين.

الديمقراطية الأمريكية وثورة المعلومات - بروس بمبر

الإمبريالية،وبرجنسكي في كتابه الرؤية الإستراتيجية أمريكا وأزمة القوة العالمية.

التواطؤ مع الغزاة - موسى الأشخم.

استراتيجية الفوضى:الإمبريالية والإسلام- محمد حسين كاتب.

حدود الدم -رالف بيتر.

امبريالية بروح إنسانية- سيلفا توري.

الاغتيال الاقتصادي للأمم جون بركنز- ترجمة مصطفى الطناني.

أنظمة السلطة- تشومسكي.

مفارقة القوة الأمريكية - جوزيف ناي الابن - ترجمة :محمد توفيق البجيرمي

ثورات القوة الناعمة في العالم العربي - علي حرب

وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث- د. عبد العزيز نوار.

العولمة الجديدة والمجال الحيوي للشرق الأوسط : مفاهيم عصر قادم ، - د. عبد العزيز نوار.

# الفهرست